▪ **كرزازي موسى، 2016، " الجغرافيا : من مادة تربوية إلى تخصص استراتيجي في التهيئة والتنمية (خلاصة تجربة)"**، ورد في: *تنظيم وتهيئة المجال الريفي بالمغرب: أبحاث وتدخلات*، (تنسيق: المختار الأكحل، عبدالعالي فاتح، مُحَمَّد حنزاز)، الناشرون :كلية الآداب والعلوم الإنسانية (الرباط)، معهد الدراسات الإفريقية، (جامعة مُحَمَّد الخامس)، المعهد الوطني للتهيئة والتعمير، الرباط **(من الصفحة 49–75)**.

الجغرافيا : من مادة تربوية إلى تخصص استراتيجي في التهيئة والتنمية

(خلاصة تجربة)

كرزازي موسى *

ملخص:

انطلاقا من بعض التجارب، يعالج هذا المقال، الجغرافيا كتخصص استراتيجي في التهيئة والتنمية، و دور الجغرافيين في تنمية بلدانهم عبر انخراطهم في إعداد تصاميم التهيئة والبرامج التنموية، وكيف يمكن إعداد الموارد البشرية الجغرافية الكفأة لتسهيل انخراطها في إنجاز المخططات التنموية. فمع التحولات التي عرفها المجتمع المغربي وسوق الشغل، حدث تطور في الجغرافيا، التي انتقلت من مادة تربوية موجهة للتدريس بالمؤسسات التعليمية، إلى مادة تساهم في وضع مخططات التهيئة الترابية وبرامج التنمية. وقد تطلب ذلك من الجغرافيين تكوينا جديدا ثمن مكتسباتهم المعرفية في التخصص، وأكسبهم مهارات وخبرة كمستشارين وخبراء، ساعدتهم على المشاركة الفعالة في التشخيص الترابي واستشراف حلول للمشاكل التنموية في عالم الأرياف والمدن، فيما أصبح يطلق عليه "جغرافية تطبيقية".

الوضع الجديد دفع الجغرافيين للاشتغال حول الإشكاليات والقضايا الكبرى المحلية والجهوية والوطنية والدولية ضمن فرق بحث متعددة التخصصات، في إطار مقاربات متنوعة، تشخص الواقع بإبراز مؤهلاته الطبيعية وكيفية استغلالها، والإمكانيات البشرية وكيفية تثمينها، والتعرف على مختلف الإكراهات والعوائق لتجاوزها وتحويلها إلى إمكانيات، والتنبيه إلى الأخطار المحدقة بالإنسان لدرئها، واختراع وسائل ونظم الوقاية منها، وإشراك الساكنة المعنية في أي مشروع تنموي قصد إنجاحه، و هو ما يدخل في صلب التهيئة والتنمية المستدامة، وفي باب الإمكانية للحد من تبعية الإنسان للطبيعة (أو الحتمية الطبيعية). على هذا الأساس، لم يعد الجغرافي يصف ويفسر فقط، بل أصبح يحلل الظواهر ويقارنها بغيرها، ويقيسها كما وكيفا، من أجل الوصول في **مرحلة أولى** إلى تشخيص استراتيجي، وفي **مرحلة ثانية** يخطط للمستقبل، ويتنبأ بما سيحدث لاحقا. وبذلك أصبحت الجغرافية اليوم تخصصا استراتيجيا للتنمية.

هذا يتطلب من الجغرافي بذل جهود إضافية ليتمكن من تكوين رصين في التخصص الجغرافي، ومن تحديد الإشكاليات والفرضيات، وتحديث المناهج والمقاربات وتقنيات العمل، وإتقان اللغات الأجنبية ومواكبة المستجدات عبر التكوين المستمر، والقيام بالأعمال الميدانية، والابتعاد عن إعادة نسخ ما أنتجه الآخرون. من هنا تطرح مسألة تسليح الطالب (ة) الجغرافي (ة) بتكوين تطبيقي عملي وتوقعي.

كلمات مفتاحة: الجغرافيا التطبيقية، مخططات التهيئة، برامج التنمية، تكوين الموارد البشرية.

* أستاذ التعليم العالي بجامعة مُحَمَّد الخامس –كلية الآداب والعلوم الإنسانية، شعبة الجغرافيا، الرباط

Résumé : La géographie: d'une discipline pédagogique à une spécialité stratégique dans l'aménagement et le développement (synthèse d'une expérience)

Cet article retrace l'évolution de la géographie, d'une discipline scolaire et universitaire, à une spécialité stratégique dans l'aménagement et le développement (synthèse d'une expérience) et le rôle du géographe dans l'élaboration des plans d'aménagement et de développement et comment former les ressources humaines.

En effet, l'évolution de la géographie reflète les transformations de la société marocaine et les nouvelles exigences du marché du travail. La phase actuelle nécessite une formation continue du géographe, adaptée à l'élaboration de plans de développement et d'aménagement, ce qui est proche de ce qu'on appelle « Géographie appliquée ». Le géographe pourrait réaliser un diagnostic territorial dans une première étape, des orientations et propositions dans une seconde étape.

Dans ce nouveau contexte, les géographes experts et consultants, travaillent sur les grandes problématiques locales, régionales, nationales; voire même internationales, au sein de groupes pluridisciplinaires, réalisent un diagnostic (atouts, possibilités, contraintes, risques et prospectives), en dépassant le stade de description et d'analyse, pour aboutir au stade d'orientation (géographie prospective).

Ceci nécessite du géographe une formation solide en géographie, une maitrise des techniques nouvelles et des langues étrangères, un renouvellement de problématiques, d'approches et de méthodes. Cette formation permettrait au géographe de contribuer efficacement à l'élaboration des plans d'aménagement et de projets de développement.

Ainsi, l'étudiant géographe devrait bénéficier d'une formation fondamentale, appliquée, opérationnelle et prospective.

Mots clés : Géographie appliquée, Plans d'aménagement, Projet de développement, Formation des ressources humaines.

مقدمة

ونحن ندخل الألفية الثالثة، وقعت تطورات عميقة في الجغرافيا. فبعد نقاشات عميقة ومثيرة، وبعد تساؤلات كبرى أثارها الجغرافيون داخل وخارج العالم العربي ومنه المغرب، حول الجغرافيا وكيف يمكنها أن تشكل مادة استراتيجة للتنمية المجالية، يمكن الإقرار بانخراط عدد من هؤلاء الجغرافيين في الجغرافيا التطبيقة التنموية، وضمنها إعداد مخططات التهيئة والتنمية.

وتبين من خلال بعض التجارب التي تظل محدودة في العالم العربي، ولكنها في توسع مستمر، بأن هذا التوجه التنموي التطبيقي يتطلب تطوير سبل البحث في مواضيع الجغرافيا وفي مناهجها، وطرح إشكاليات تتماشى مع ما يتطلبه العصر، وتحسين وإبداع وسائل خلاقة مرتبطة بها في الجامعات العربية لتحسين جودة التعليم العالي، ليصبح دور الجغرافيين في المجتمع وفي مسلسل التنمية فعالا ومطلوبا، عبر المساهمة في الحوار البناء حول القضايا الكبرى للمجتمع والبلاد عامة، وفي وضع تصاميم التهيئة المجالية والمشاركة في مخططات التنمية.

لقد تمكن عدد من الباحثين الجغرافيين أن يغامروا علميا، خارج أسوار الجامعات العربية ومنها المغربية، فظهرت بحوث في ما سمي بالجغرافيا التطبيقية والعملية والتوقعية، ومساهمات من مستوى يشرف الجغرافيين في مشاريع إعداد التراب والتنمية بصفة عامة. إن الهدف الأول من هذا المقال، هو إبراز الأهمية الكبرى للجغرافيا كتخصص علمي استراتيجي في التنمية والتخطيط للمستقبل

(جغرافية عملية وتوقعية). والهدف الثاني مرتبط بسبل تكوين وتهيئ الجيل الجديد من الجغرافيين الجامعيين للتمرس على الانخراط في إعداد مشاريع التنمية.

لقد اعتمدنا في تهيئ هذا المقال، إضافة إلى بحث وثائقي حول الموضوع، على تجربتنا التربوية والمهنية خلال أربعة عقود مضت (من 1972-2012)، وكذا على تجربتنا المتواضعة في المساهمة ضمن فريق عمل علمي في إعداد تصاميم التهيئة الجماعية بالمغرب على مستوى ست جماعات قروية بمنطقة الغرب (ضواحي سيدي سليمان في الفترة 2002-2005)، والمساهمة الحالية (2009-2013) في إطار فريق بحث لتهيئ وثيقة التصميم التوجيهي لإعداد التراب بجهة الرباط سلا زمور زعير بالمغرب. وكلا التجربتين، تمت في إطار فرق عمل متعددة التخصصات من ضمنها جغرافيين متمرسين[1].

لقد تعمدنا تدوين الأفكار المستوحاة من هذه التجربة ليستفيد منها الجغرافيون الشباب ويتعرفوا على المراحل التي مرت منها الجغرافيا من مادة تعليمية إلى تخصص تطبيقي، تتمثل في تجارب بعض الجغرافيين الرواد، إلى أن بلغت مستوى يمكن اعتبارها تخصصا استراتيجيا في المساهمة في بناء مخططات التنمية. كما أن البحث يندرج في فضاء النقاشات الجارية حول مادة الجغرافيا ودور الجغرافيين على الصعيد الوطني والعربي والدولي في التنمية المجالية والبشرية والمستدامة. وفي نفس الوقت، سنشير في حينه إلى بعض التجارب الناجحة التي ساهم فيها جغرافيون في إنجاز وثائق التهيئة والتعمير على الصعيد المحلي والجهوي والوطني بالمغرب.

على هذا الأساس، سنخصص القسم الأول من مقالنا للجغرافيا كتخصص استراتيجي في التهيئة والتنمية والتخطيط المستقبلي؛ ونعالج في القسم الثاني منه، دور الجغرافيين في تنمية بلدانهم عبر انخراطهم في إعداد مشاريع التنمية؛ لنستعرض في القسم الأخير، مواصفات إعداد الموارد البشرية الجغرافية الكفأة، بهدف تسهيل انخراطها في إنجاز برامج ومخططات التهيئة التنموية، مع خلاصة عامة.

1- راجع في هذا الباب خلاصة تجربتنا كجغرافي في إطار المشاركة ضمن فرق عمل لإنجاز مشاريع علمية وتطبيقية :

أولا : الدراسات المنجزة حول مشاريع تصاميم التهيئة الجهوية والمحلية التي ساهمنا فيها كمستشار ومشارك في تحرير تقارير المنهجية والتشخيص القطاعي والتركيب الترابي، ضمن فريق متعدد التخصصات لأعداد التصميم التوجيهي لإعداد التراب بجهة الرباط سلا زمور زعير (SRAT). وفي إطار التقسيم الجديد (12 جهة)، توسعت الجهة وأصبحت تسمى : جهة الرباط سلا القنيطرة (أبريل 2015)

ثانيا: المساهمة كمنسق ضمن فريق العمل على إنجاز مشروع التصميم الجماعي للتهيئة بست جماعات بدائرة سيدي سليمان (PAC) 2001 والذي تمت المصادقة عليه سنة 2005.

ثالثا: المساهمة في إطار تهيئ المخطط التنموي الجماعي (PCD) كمنشط لعدد من الورشات التشخيصية لواقع مدينة طنجة.

رابعا: المشاركة في وضع خريطة ومذكرة خريطة تفسيرية ضمن فريق وضع أطلس المغرب:

- Elaboration d'une Carte et notice, Titre : « Transport et communication au Maroc » In Projet Atlas du Maroc (Editeur : Chaire IONESCO, Auteurs de la carte et notice : KERZAZI Moussa et FATEH Abdelali ; Juin 2005).

. أولا الجغرافيا كتخصص استراتيجي في إعداد تصاميم التهيئة ومشاريع التنمية

1. تطور الجغرافيا من مادة تربوية موجهة للتدريس إلى تخصص يساهم في التهيئة المجالية والتنمية.

1-1- الجامعة في خدمة تكوين المدرسين بالثانوي

بالأمس القريب (النصف الأول من القرن 20)، كانت مادة الاجتماعيات (التاريخ والجغرافيا) بالمغرب تدرس في كل مراحل التعليم: بالمدارس الابتدائية والثانوية والجامعة. وكان الهدف الأساسي من تدريسها هو تعريف التلميذ بالمحيط والبيئة التي يعيش فيها محليا ووطنيا وعالميا؛ بحيث يستطيع توطين الموقع والمكان الذي يوجد فيه، ويتعرف على معلومات جغرافية موسوعاتية تهم توطين وتوزيع الظواهر الجغرافية ومنها: التضاريس والمناخ ونوع السكن والسكان وتاريخ التعمير والأنشطة الاقتصادية من فلاحة وصناعة وتجارة وخدمات على مستوى البلد، والمغرب العربي والعالم العربي، والبلدان النامية والمتقدمة على سطح الكرة الأرضية. كما يتمكن التلميذ من التعرف في نهاية مشواره بالتعليم الثانوي على أهم القوى العظمى الرأسمالية، كالولايات المتحدة وفرنسا واليابان، أو العالم الاشتراكي آنذاك كالاتحاد السوفياتي (روسيا وكتلة الدول المستقلة بعد سقوط حائط برلين سنة 1989) وأوربا الشرقية (سابقا) والصين الشعبية.

وكان تعليم المادة معززا بوسائل إيضاح تربوية، من خرائط جدارية للوطن، والمغرب العربي، والعالم العربي، ومختلف القارات والكرة الأرضية؛ وخرائط موضوعاتية وأطالس عامة للعالم وخاصة بالمغرب (أطلس المغرب، أطلس الثروات الطبيعية، أطلس حوض سبو...)، وكتب مدرسية تتوفر على صور وجداول وخرائط ونصوص تهم المواضيع التي تتطرق لها مادة الجغرافيا التي كانت مرتبطة بمادة التاريخ ويطلق عليهما، (إضافة إلى التربية الوطنية)، مادة الاجتماعيات[2].

وإلى عهد قريب (مطلع سبعينيات القرن 20) كانت الاجتماعيات تدرس بشعب الجغرافيا بالجامعة المغربية التي اقتصرت آنذاك على جامعة مُحَمَّد الخامس وحدها إلى منتصف السبعينات، لتعمم هذه الشعب على باقي الجامعات المغربية لاحقا. وكان التأطير والتدريس الجامعي وحتى الثانوي يتم من طرف أساتذة مغاربة وأجانب معظمهم فرنسيين، استطاعوا تهيئ رسائلهم الجامعية وأولى أطروحات الدولة بمناطق مختلفة بالمغرب، ولعبوا دورا اساسيا في تكوين جيل طلبة ما بعد الاستقلال، وفي تطوير البحث الجغرافي بالمغرب، منهم على سبيل المثال: دريش (Dresch) نوان (Noin) ، ولوكوز (Le Coz) ، وتروان (Troin) ، وبودي (Beaudet)، وجولي (Joly)....

وعلى مستوى التكوين، كانت كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، في تكامل مع المدرسة العليا للأساتذة بجامعة مُحَمَّد الخامس، مصدر تكوين أساتذة الإعدادي والثانوي، لتزويد المؤسسات التعليمية بالموارد البشرية بعد التخرج، قبل أن تخلق مدارس ومراكز

2- مصدر تحرير هذه الفقرات اعتمد على تدوين تجربتنا كطالب في شعبة التاريخ والجغرافيا بكلية الآداب والمدرسة العليا التابعة لجامعة مُحَمَّد الخامس بالرباط، في الفترة 1968-1972، ثم كأستاذ للاجتماعيات بالسلك الثاني الثانوي بثانويات النهضة والأيوبي والنجد بسلا، وثانوية دار السلام بالرباط، التابعة لنيابة التربية الوطنية بالرباط سلا من نونبر 1972 إلى نونبر 1980.

تربوية موازية لها، ومنافسة لكلية الآداب، لتكوين مباشر للمدرسين، دون ضرورة المرور من الجامعة[3]. فتقلص هامش توظيف المتخرجين من الجامعة، والذي كان مركزا بالأساس على قطاع التعليم الإعدادي والثانوي.

مواكبة مع التطورات الحاصلة بمغرب ما بعد الاستقلال وتأسيس أول جامعة عصرية بالمغرب سنة 1957، كان الهدف من تعليم مادتي التاريخ والجغرافيا بالجامعة، في مرحلة أولى (فترة الستينيات والسبعينيات)، منصبا على تكوين جامعي يتوج بالحصول على دبلوم جامعي أو الإجازة في التاريخ والجغرافيا مع دبلوم التخرج التربوي، يهيئ صاحبه ليشغل منصب أستاذ بالإعدادي إذا لم يتوفق في الحصول على الإجازة في التاريخ والجغرافيا، وأستاذ بالسلك الثاني الثانوي إذا حصل على الإجازة وشهادة التخرج التربوية الموازية لها من المدرسة العليا للأساتذة. وللتذكير، فإن عددا من أساتذة الجامعة كان يشغل في نفس الوقت، منصب مفتش رئيسي في التعليم الثانوي، سواء كان من الأجانب (الفرنسيين أساسا) أو من المغاربة. وإليهم يرجع الفضل في تأليف بعض الكتب المدرسية النادرة آنذاك، بالفرنسية أولا وبالعربية لاحقا مع مرحلة تعريب المواد الاجتماعية في مطلع السبعينيات.

ومن هنا نستنتج، بأن محتوى التعليم لمادتي التاريخ والجغرافيا بالجامعة آنذاك، كان منصبا على تكوين معمق لمحتوى نفس التكوين المصغر الملقن بالمؤسسات التعليمية الثانوية؛ إذ يطلب من المتخرج الجامعي أن يكون على إلمام تام، من حيث المضمون، بمحتوى مقرر الاجتماعيات بالإعدادي والثانوي، ومن حيث المهنة، ملما ببيداغوجية التدريس.

فالجامعة المغربية العصرية الأولى (جامعة محمد الخامس بالرباط أساسا) ثم باقي الجامعات لاحقا، قد توفقت إلى حدود السبعينات في تلبية حاجيات قطاع التعليم الثانوي بأطر تدريس كفأة، نجحت في تأدية هذه الرسالة. بل إن عددا من أساتذة الثانوي سيلتحق للتدريس بالجامعة، بعد التعريب الكلي لمادتي التاريخ والجغرافيا منذ مطلع السبعينيات. إلا أنه في فترة لاحقة، تم شبه إغلاق لمنفذ التعليم الذي كان يهم توظيف خريجي شعبة الجغرافيا والتاريخ بالتعليم الثانوي، فتقلص مجال فرص الشغل للخريجين.

2.1- بوادر إصلاح جامعي لمواجهة أزمة منافذ الشغل[4].

لمواجهة الوضعية الجديدة، ظهرت أصوات من داخل شعبة الجغرافيا بالجامعة، تطالب بضرورة إصلاح جامعي يتماشى مع المتطلبات الراهنة ويتكيف مع الأوضاع الجديدة. كما تم التفكير لأول مرة في تاريخ الجامعة، في فصل الجغرافيا عن التاريخ. وقد نفذ ذلك تدريجيا، إلى أن أصبحت شعبة الجغرافيا مستقلة عن شعبة التاريخ، رغم الترابط البيداغوجي بين التخصصين كفروع متكاملة من العلوم الإنسانية والاجتماعية. وأدخلت مواد جديدة مكملة للمواد الجغرافية الأساسية عوضت مواد التاريخ، كالإحصاء، والرياضيات، والديموغرافيا، والجيولوجيا، والتربة، وعلم الاجتماع، إضافة إلى درس احتفظ به في المقرر خاص بتاريخ

3- تجربة خلق المراكز التربوية والمدارس العليا الجديدة التابعة لتكوين الأطر، بدون مراعاة منافذ الشغل للمتخرجين من كليات الآداب والعلوم اعتبر ارتجالا وهدرا للموارد البشرية والمالية واللوجستيكية، حيث سيؤدي هذا الوضع الجديد إلى شبه عطالة مؤدى عنها لأساتذة المدرسة العليا للأساتذة سابقا والتي تحولت إلى كلية علوم التربية لاحقا تابعة للجامعة، ثم عطالة مؤدى عنها لأساتذة المراكز التربوية والمدارس العليا الجديدة التي كانت تابعة لتكوين الأطر في وزارة التربية الوطنية، لأن خلقها لم يراعي التكامل بين المؤسسات التربوية، وحدث نوع من الازدواجية في تكوين الاجتماعيات.

20 – اعتمدنا في تحرير هذه الفقرات على تدوين تجربتنا التربوية كأستاذ للجغرافيا ثم كرئيس لشعبة الجغرافيا بكلية الآداب جامعة محمد الخامس خلال الفترة نونبر 1980-2012 وعشنا أهم مراحل الإصلاح الجامعي. وكانت تنطلق المبادرات عادة من جامعة محمد الخامس (الجامعة الأم) لتعمم على باقي الجامعات.

المغرب المعاصر. هذه المواد تعتبر تكوينا تكميليا يسهل على الطالب (ة) الجغرافي (ة) والباحث (ة) تفسير عدة ظواهر جغرافية طبيعية وبشرية، والاندماج في الحياة العملية.

وفي مرحلة لاحقة تتصادف مع بداية الألفية الثالثة، ومواكبة للتطورات الجديدة والتحولات العالمية، أصبح من الضروري التفكير في إصلاحات جامعية جديدة وهيكلية، تأخذ بعين الاعتبار المستجدات في عالم الشغل وتطورات المجتمع، وذلك من أجل تجديد المقاربات والمناهج والتكوين التكميلي، لمعالجة إشكاليات جديدة مرتبطة بالنمو الاقتصادي، والتنمية البشرية والمستدامة، بإدراج مواضيع تهم البيئة والتدبير العقلاني للموارد الطبيعية لفائدة الإنسان. وكان التأثر بما يجري في البلدان الأوروبية، وخاصة فرنسا، واضحا في كل إصلاح جامعي بالمغرب. فظهرت إجازات مطبقة ستشكل لبنة وبنية مصغرة لإصلاح جامعي يهم الجغرافيا، وشهادات جامعية عليا تركز على التهيئة المجالية والبيئة. وفي النظام الجديد ظهر نظام الوحدات الذي عوض نظام السنوات. وأدرجت في مقرر الإجازة وحدات تهم إعداد التراب والتهيئة المجالية. وظهرت إجازات مهنية تحت الطلب من بعض الوزارات لتلبية حاجياتها من الأطر المؤهلة في مجال اشتغالها. وبذلك فتحت آفاق جديدة للجغرافيا والجغرافيين في باب الشغل والمساهمة في وضع مخططات التهيئة التنمية.

2. جغرافيا تطبيقية تحت الطلب أم جغرافيا أكاديمية وأبحاث مستقلة؟

1.2 تطور في مناهج التدريس والبحث لمواكبة تحولات المجتمع والمجال

لابد من التذكير بأن الجغرافيا فيما مضى كانت تمثل إلى حد كبير، جغرافية عامة تهم الشق الطبيعي والبشري الذي يركز على جغرافية الأرياف، لأن الطابع الغالب في العالم، في فترة ما بين الحربين العالميتين، هي المشاهد الريفية (الفلاحية والزراعية..). وحتى في مغرب ما قبل الحماية، لم تكن المدن تضم أكثر من 8 في المائة من مجموع ساكنة البلاد، تقطن مدنا محدودة المساحة داخل الأسوار القديمة (فاس، وجدة، مكناس، سلا، الرباط ، تطوان، مراكش...) ، والباقي، 92 في المائة من الساكنة، تعيش في البوادي.

وقد اعتمدت الجغرافيا على الخرائط ووصف المشاهد وأحوال المجتمعات، ولذلك لعبت دورا استراتيجيا في الاكتشافات الجغرافية واكتشاف القارات والمناطق التي ظلت مجهولة في افريقيا والعالم الجديد، وأيضا دورا استراتيجيا في التوسع الاستعماري والتخطيط للحرب. ولذلك كتب "**إيف لاكوست Yve Lacoste**" قولته المشهورة بان "الجغرافيا تصلح أولا للحرب" أي وجدت لتخدم أهداف الاستعمار.

وفعلا، اعتمدت الخرائط كأداة للاحتلال. وفي المغرب مهدت الكتابات الجغرافية الأولى لاحتلال البلاد، وإن كان عدد من الجغرافيين ومنهم جون دريش (Jean DRECH) من أشد المناهضين للاستعمار، وهو الذي أنجز العديد من الدراسات حول الأطلس الكبير، توجت بأطروحة دولة بالغة الأهمية، لأنها اعتمدت على العمل الميداني والاحتكاك المباشر بالإنسان.

وقد عالجت جغرافية الأرياف عدة مواضيع همت الزراعة، والبنيات الزراعية والسكن الريفي خلال الستينات. ولكن الجغرافية الحضرية نالت لاحقا اهتمام عدد أكبر من الجغرافيين، نظرا للانفجار الحضري منذ مطلع السبعينات في البلدان النامية كالمغرب.

يمكن الإشارة إلى عددا من أطاريح الدولة التي انجزها أساسا جغرافيون فرنسيون في عهد الحماية وبعد استقلال البلاد، وكانت القاعدة الصلبة التي انطلق منها الباحثون المغاربة خلال الثمانينات. وأغلبهم كانوا من الفرنسيين الذين عاشوا ردحا من الزمن بالمغرب؛ نذكر منهم على سبيل المثال أطاريح كل من : جون لوكوز حول الغرب (Le Coz, J.,)؛ ودانيال نوان (Noin, D.) حول السكان القرويين بالمغرب؛ وجون فرونسوا تروان (Troin, J.-F.) حول الأسواق بالمغرب، و جون دريش (Dresch, J.) حول الأطلس الكبير؛ وبيكين (Béguin, H.) حول تنظيم المجال بالمغرب؛ وجون بودي (Beaudet, G.) حول الهضبة الوسطى؛ ومارتان (Martin, J.) حول الأطلس المتوسط الهضبي؛ وجولي (Joly, F.) حول الجنوب الشرقي المغربي؛ وجرار موريز (Maurer, G.) حول الريف. وأما بالنسبة للباحثين المغاربة، كانت أول أطروحة دولة في الجغرافيا قد أنجزها الباحث المرحوم أحمد الغرباوي بجامعة السربون بباريس، في مطلع 80 حول الإنسان والوسط في شبه الجزيرة الطنجية. ثم تعاقبت منذ مطلع الثمانينات وخلال التسعينات أطاريح الدولة لمجموعة باحثين مغاربة تخرج معظمهم من جامعات فرنسية، وبلجيكية وقلة منهم، من جامعات أمريكية. وبعد ذلك، التحق بهم مجموعة من الباحثين الذين تخرجوا أساسا من كلية الآداب شعبة الجغرافيا، جامعة محمد الخامس، ثم من الجامعات المغربية الأخرى في فترة لاحقة (دليل الرسائل والأطروحات الجامعية[5]).

ولكن بعد 1980 لوحظت تغيرات على مستوى المغرب والعالم، حيث تنوعت المواضيع وبدأ اختفاء المونوغرافيات رغم ان موضوع " المنطقة " (La Région) ظل سائدا. وفي الجغرافيا البشرية عولجت إشكاليات جديدة تهم المجال والمجتمع، تنظيم المجال الريفي، والحضري والعلاقة بين البوادي والمدن، والضاحية، والنظام الاقتصادي والمجال، والصناعات الغذائية، تأثير المتروبول على الأرياف المجاورة، والسكن الريفي، الهجرة الريفية، الهجرة الدولية، والسياحة... .

وبالتدريج تم اختفاء أطاريح الدولة (Doctorat d'État) ورسائل السلك الثالث : دبلوم الدراسات العليا (DES) والشهادة المعمقة أو شهادة استكمال الدروس (DEA) (DESA)... كما أن عددا من الأطاريح تظل على الرفوف بدون نشرها، متشتتة في الجامعات المغربية والعالمية.

وقد ظهر نظام الدكتوراه الوطنية كأعلى شهادة، بعد اختفاء نظام دكتوراه الدولة الذي كان يستنزف طاقة الباحثين، لإنجاز عمل في زمن طويل يتعدى العشر سنوات. وحل محله نظام إجازة–ماستر–دكتوراه الذي لا يتعدى مسار الطالب في مجموع النظام الجامعي مدة 8 سنوات للحصول على أعلى شهادة جامعية[6]. لكن لاتزال تطرح عدة مشاكل مرتبطة بجودة المنتوج العلمي والجامعي في الجامعة المغربية ومدى نضجه، وخاصة مودة "القرصنة" و"النسخ والالصاق" (Copier/Coller) في إنجاز الرسائل والأطروحات، والتساهل أحيانا في مناقشة هذا المنتوج الرديء في بعض الشعب بالجامعات، مما يضر بالشهادة الجامعية المغربية

---

5 – راجع في هذا الصدد دليل الرسائل والأطروحات المسجلة والمناقشة في كلية الآداب والعلوم ألإنسانية، جامعة محمد الخامس منذ تأسيسها إلى اليوم. ويرجع الفضل في إنجاز هذا العمل التوثيقي الهام، إلى الباحث آفا عمر، سواء في ترتيب عناوين البحوث أو في السهر على نشرها في الفترات الزمنية، حسب التخصصات بمختلف الشعب بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط. وتتوفر مكتبة الكلية على نسخ مرقونة، من رسائل السلك الثالث والدكنوراه الغير منشورة، في جناح خاص، معروضة للاطلاع عليها في عين المكان، من قبل الباحثين والمهتمين.

6– إجازة (3 سنوات أي 6 فصول)، ماستر (سنتان أي 4 فصول) دكتوراه (3 سنوات)؛

ويبخسها مستقبلا. ولذا أصبح المرشح لنيل الدكتوراه في النظام الجديد، ملزما بنشر مقالين محكمين على الأقل، قبل مناقشة أطروحته.

ومع ذلك، على مستوى المجال، لم يحدث مواكبة الإشكاليات الجديدة بالعدد والنوع المطلوبين من الأبحاث المعمقة الأصيلة، رغم ما عرفته المجالات المغربية، ومنها الأرياف في العقود الأخيرة، من تطورات سريعة تمثلت في تغطيتها بما يزيد عن 90% من الماء الشروب و95% من الكهرباء، إضافة إلى تجهيزها بالطرق التي فكت جزءا من عزلتها. وإن المجالات المجاورة للمدن، سواء كانت ضاحية أو مجالات شبه حضرية، أصبحت تتوفر على عدد من المصانع والمعامل والورشات، خاصة في ميدان البناء كصناعة مواد البناء (آجور، اسمنت، رخام ...) كما هو الحال في عين عتيق بجوار مدينة تمارة المحاذية للعاصمة الرباط، وهي أنشطة غير فلاحية، بعد انتقال مواقع عدد من الصناعات من أحياء العاصمة كاليوسفية، نحو هوامشها. فتغيرت المشاهد التقليدية للأرياف، وظهرت علاقات تفاعل جديدة بين المدن والأرياف، وتنوعت الوظائف على حساب المشاهد الفلاحية والمناظر الطبيعية [7].

2.2 بروز تيار الجغرفيا التطبيقية.

أصبح الجغرافيون مدعوين للمساهمة في دراسة مواضيع تطبيقية عبر تشخيص الظاهرة وتقديم حلول لها في إطار تكوينهم كخبراء، ومستشارين في الوزارات والمديريات المختصة، كمديرية إعداد التراب والجماعات المحلية والمندوبية السامية للتخطيط، بغرض المشاركة في وضع استراتيجيات تنموية في الأرياف والمدن.

لقد تنوع اهتمام الباحثين بالمغرب منذ 70 إلى نهاية العقد الأول من القرن 21 (2000-2010) بإنجاز بحوث ودراسات حول البنيات الزراعية، والقطاعات السقوية والاستثمار الفلاحي، وضواحي المدن الكبرى، والجبال المغربية، والواحات، والمنظومة البيئية، والأنظمة الزراعية، والتهيئة المجالية وإعداد التراب[8].

فقد تأثر الجغرافيون المغاربة كغيرهم، بالتيارات العالمية الجديدة وخاصة الاتجاه الأنكلوسكسوني، وجغرافيي الكتلة الاشتراكية [9] . وأخذ عدد منهم مسافة نسبية من الجغرافية الفرنسية الكلاسيكية، التي كانت تهتم بالجانب النظري أكثر من الجانب التطبيقي والعملي.

ولاشك أن هذا النقاش الحاد الذي برز في فرنسا بين مؤيد للتيار الجديد الذي ينادي بتشجيع الجانب التطبيقي في البحوث الجغرافية، ومناهض له، كان له انعكاس مباشر أو غير مباشر على الساحة الجغرافية المغربية. فطرح تساؤل عميق مرتبط بدور الجغرافيا كتخصص، ومساهمة الجغرافيين في مسلسل التنمية؛ فهل تركز الجغرافيا على الدراسات النظرية والوصفية أم على البحوث التطبيقية والكمية تحت الطلب؟ وانقسم الجغرافيون بين مؤيد لهذا الاتجاه التطبيقي المهني الذي يخضع للدراسة تحت الطلب

---

7 – راجع في هذا المجال مقالنا المشترك مع الباحث فاتح عبدالعالي حول موضوع ضاحية الرباط تمارة وتعدد الوظائف.

FATEH Abdelali et **KERZAZI Moussa** : "La multifonctionnalité de la banlieue de Rabat-Temara et le sort de l'activité agricole (Cas des communes Aïn Atig et Mers El Kheir)", In : Produits agricoles, touristiques et développement local (Cordonné par KERZAZI Moussa, AIT HAMZA Mohamed et EL ASSAAD Mohammed), Pub. ANAGEM, GREMR et CDDSR (UGI), 2011.

8 – للتوسع في تطور الجغرافيا راجع المقالات المنشورة في مجلة جغرافية المغرب (RGM) منذ تأسيس جمعية جغرافية المغرب 1916 إلى اليوم (الجمعية الوطنية للجغرافيين المغاربة) 2014، ومنها المقالات التي تعالج إشكاليات جديدة: (كرزازي موسى، 2008، "الجغرافية وإعداد التراب: قواسم وانشغالات مشتركة " مجلة جغرافية المغرب. عدد 1-2، مجلد 24. السلسلة الجديدة).

9– جغرافية البلدان الاشتراكية كتجربة الباحثين الجغرافيين في عهد الاتحاد السوفياتي وروسيا حاليا، وأوربا الشرقية سابقا وتركيزهم على الجغرافيا الكمية والتطبيقية.

(فليبونو 1960 و 1999)، ومعاكس له، حيث يرى بأن البحث الجغرافي الأكاديمي يجب أن يظل مستقلا عن كل قوى ضغط مادية (شركات ممولة للبحث)، أو سياسية (جماعات محلية، مؤسسات الدولة) تحاول التأثير على نتائج البحث[10].

ومن بين الكتب التي تناولت هذه المواضيع يمكن الإشارة إلى كتابين مهمين نوقش فيهما هذا الموضوع للمؤلف الفرنسي "فليبونو ميشال" (Phlipponneau Michel) الأول سنة 1960 "الجغرافيا والفعل: مقدمة في الجغرافيا التطبيقية[11]". والثاني صدر سنة 1999 وعنوانه: الجغرافيا التطبيقية، من الجغرافي الجامعي إلى الجغرافي المهني[12].

إن الجغرافي "فليبونو ميشال" مدافع قوي عن جغرافية تطبيقية نافعة ومطلوبة في السوق من مستعمليها (جماعات محلية، مقاولات صناعية..). ولذا ظل يدعو الجغرافيين إلى تكوين علمي وعملي تقني، وإتقان التقنيات الجديدة في الكرطغرافيا والعلوم المرافقة التكميلية الضرورية، لإنجاز دراسات يرضى عنها المستعمل الذي يطلبها. وعدم الاقتصار على الوصف المنوغرافي، بل تقديم حلول لمشاكل معينة في مكان محدد وزمان معين.

إن انسداد الآفاق أمام المتخرجين الجغرافيين من كلية الآداب سيعجل باتخاذ إصلاحات. ولذا سيدرج في دفتر الاعتماد لمقرر اجازة الجغرافيا، وحدات استراتيجية في التهيئة والتنمية المجالية أدخلت في المقرر منذ بداية الإصلاح في مطلع الألفية الثالثة، وكذا إنجاز بحوث تهم مشاريع مقاولاتية في نهاية الدراسة بالإجازة. كل هذا فتح المجال للجغرافيا وللجغرافيين للانخراط في مسلسل التنمية.

وإذا كان التدريس الجغرافي الجامعي بالمغرب، رغم الإصلاح الجديد، لا زال يهتم في قسم كبير من مقرر الإجازة بالجانب البيداغوجي الخاص بتدريس المجزوءات والوحدات بشكل مستقل (جيومرفولوجيا، جغرافية السكان، وأرياف ومدن، وجغرافيا اقتصادية، وتهيئة مجالية، وقضايا التنمية والاقتصادية...ودراسات إقليمية...) في احترام للتدرج التربوي والعلمي في التكوين، فقد حان الوقت لتعويد الطالب على التركيب والتشخيص الترابي الذي يحتاج إلى تركيب المعطيات والمعلومات، للخروج بتشخيص ترابي ملموس، واقتراح حلول للمشاكل التنموية الملموسة، وخاصة في المستويات العليا (نهاية الإجازة والماستر، والدكتوراه). ولكن هذا لا ينفي الانطلاق من الخلفية النظرية في كل بحث جغرافي، واستعمال المناهج والتقنيات المناسبة حسب طبيعة المواضيع المعالجة.

وللتذكير، فإن الجغرافيا لا تزال تعيش تشتتا بين الدراسات الطبيعية المعتمدة على مناهج علمية صرفة ولكنها تفتقر إلى الوسائل والمواد المختبرية واللوجيستكية الميدانية[13] ؛ والجغرافيا البشرية المعتمدة على مناهج متعددة، من المناهج الوصفية والتاريخية إلى المنهج الكمي والكيفي.

وإذا كان تنوع التيارات الفكرية يؤثر على الجغرافيا ويتأثر بها، فإن محاولة بعض الباحثين إقحام علم الجغرافيا في ميدان الميتافيزيقا، من شأنه أن يدخلها في متاهات لا نهاية لها، بحيث تصبح جغرافيات تنتمي إلى مذاهب ومعتقدات أصحابها، مما ينزع عنها صفة الموضوعية العلمية الخاضعة للنسبية العلمية والبعيدة عن الحقيقة المطلقة التي تتصف بها الأديان والمعتقدات[14].

26– أفكار مناهضة لتيار الجغرافيا التطبيقية أثارها بيير جورج، وإيف لاكوست، 1964 في كتابهما حول ا"لجغرافية الحيوية"« La géographie active »

11- PHLIPPONNEAU Michel, 1960, Géographie et action, introduction à la géographie appliquée, Armand Colin, Paris, 227 p.

12- PHLIPPONNEAU Michel, 1999, Géographie appliquée, Du géographe universitaire au géographe professionnel, Armand Colin, Paris, 299 p.

29 – مثال الجيومرفلوجيا المعتمدة على تحاليل المواد الكيماوية والتربة والصخور في المخابر، مثلها مثل الجيولوجيا وعلم التربة

فالجغرافيا تطمح إلى فهم وتفسير توزيع الظواهر الميدانية، وتقترح نماذج لتنظيم المجال وضبط قواعد التنمية. وهي تعتمد استعمال مقاييس متنوعة في مقاربتها. ومن هنا، اهتمامها بمواضيع مختلفة حسب التطورات الجديدة ضمن شبكة للبحث متعددة التخصصات، نظرا لتعقد الأوضاع؛ إذ أصبح من المفيد إنجاز أبحاث في إطار مراكز للبحث متعددة التخصصات لدراسة الظواهر الجغرافية من زوايا مختلفة ومتكاملة، يشترك في إنجازها الجغرافي، الديموغرافي، السوسيولوجي، المؤرخ، الاقتصادي، المهندس...

ويستحسن على مستوى الجامعات المغربية أن يكون تكوين جغرافي عام للطلبة في مرحلة أولى، واختيار تخصص معين حسب الجهة المتواجدة فيها الجامعة، مع مراعاة الإمكانيات التي تتوفر عليها كل جامعة. وبذلك يتحقق شعار انخراط الجامعة في التنمية وفي محيطها، وتجاوبها مع الفاعلين الاقتصاديين والاجتماعيين... والإداريين، في إطار ما أصبح يطلق عليه الجهوية المتقدمة الذي أصبح معمولا به منذ 2015، بإقرار تقسيم جديد يضم 12 جهة .

ثانيا. دور الجغرافيين في التنمية عبر انخراطهم في إعداد مشاريع بحث تطبيقية وتصاميم التهيئة والتنمية.

أصبح انخراط الباحثين الجغرافيين والأساتذة الباحثين الجامعيين يفرض نفسه في وضع تصور لمخططات التنمية المجالية المحلية والإقليمية والوطنية، بل حتى على مستوى المجموعات القارية. وقد برز هذا خلال سنة 2000 عندما أعلنت الوزارة الوصية تنظيم منتديات وأوراش محلية وإقليمية وجهوية لمناقشة القضايا الكبرى المطروحة حول إعداد التراب الوطني في كل جهة وإقليم وجماعة قروية أو حضرية بالمغرب[15]. وما كان من تقدير للجغرافيين من لدن نظرائهم في تخصصات أخرى، وكذا لدى فاعلين سياسيين واقتصاديين واجتماعيين كانوا يجهلون أبحاث الجغرافيين في مختلف التخصصات. لقد برز الجغرافيون في هذه المناسبة كقوة اقتراحيه لها وزنها وثقلها العلمي والعملي، بفضل تحركهم وتقديم منتوجاتهم بطرق مقنعة للفاعلين الاقتصاديين والاجتماعيين والمهنيين. وهذا ما عزز جانب الثقة بهم لدى الفاعلين كخبراء ومنمين للتراب المحلي، والإقليمي والوطني.

وعلى المستوى الدولي، برزت أهميتهم في إطار المنظمات العالمية المتخصصة في التنمية كبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي، واليونسكو كخبراء [16]؛ كل في تخصصه الفرعي، ومنها المساهمة في مخططات تنمية المناطق الهشة الجافة (الواحات..) والجهات، وتطوير المنتزهات والمنظومات البيئية[17]، والتغيرات المناخية والتنبؤات بما سيحدث من أعاصير وعواصف مدمرة، وتساقطات تنتج عنها فيضانات طوفانية، وزلازل وبراكين مضرة بالبشرية، والحفاظ على البيئة عبر محاربة التلوث بمختلف أنواعه المرتبط بالماء والهواء واليابس، بطرق عقلانية ومناهج علمية فعالة تساهم في التنمية والتهيئة المجالية مع علوم أخرى[18].

---

14 – أنظر في هذا الصدد مؤلفي بلفقيه محمد ، 1991 و 2002، حول الجغرافيا: القول فيها والقول عنها. وموقفه حول مرجعية الجغرافيا.

15 –راجع في هذا الشأن منشورات وزارة إعداد التراب الوطني التي بادرت بتنظيم حوار حول إعداد التراب الوطني بالمغرب بمشاركة الفاعلين والخبراء والجامعيين وفي مقدمتهم الجغرافيين مطلع 2000.

16– في الميدان التربوي والبيئي على سبيل المثال لا الحصر، يمكن الإشارة إلى الأستاذ فتوحي محمد من جامعة محمد الخامس بالرباط كخبير جغرافي على المستوى الدولي يساهم في مشاريع التنمية المحلية والدولية.

17– يمكن الإشارة على سبيل المثال إلى الجغرافي والباحث المترس إدريس الفاسي من شعبة الجغرافيا بجامعة محمد الخامس، كخبير دولي معترف له بأبحاثه العلمية والعملية الميدانية في مجال البيئة وخاصة البيئة الجافة والهشة ومنها الواحات.

18–راجع في هذا الصدد مؤلف حول تهيئة المجال وتدبير الأخطار البيئية، 2006، (تنسيق أقديم براهيم ولعوان محمد)، ومؤلف الباحث إدريس شحو في فرع البيوجغرافيا، الصادر سنة 2011 حول الأطلس المتوسط (أصله أطروحة دكتوراه).

إن مواكبة الدراسات والأبحاث الجغرافية للتحولات المجالية والمجتمعية همت مختلف التطورات الجارية في الميدان نظرا للتطورات السريعة التي عرفتها البادية التي كان المشهد الفلاحي فيها هو السائد؛ وهو ما أعطى دراسات مونوغرافية حول هذه المواضيع فيما مضى. ولكن نظرا لدينامية الأرياف في علاقتها بدينامية الحواضر والتحولات المجالية والتغيرات المجتمعية، عولجت عدة مواضيع مواكبة للتحولات الجديدة في الأرياف والمدن في إطار لقاءات منتظمة للجغرافيين المغاربة [19] والعرب [20] ومنها الملتقى الخامس بالكويت صيف 2009 أو الملتقى الرابع بالرباط (نونبر سنة 2006- بجامعة محمد الخامس).

وعلى المستوى الدولي، يمكن الإشارة إلى الندوات العلمية الدولية في إطار اللجنة الوطنية للجغرافيا وفي اللجان المختلفة للاتحاد الجغرافي العالمي[21]، والمراكز الوطنية للبحث العلمي ومنها المركز الوطني للبحث العلمي بفرنسا (CNRS)، ومختلف الجامعات، وفي إطار الملتقيات الدولية منها على سبيل المثال: الأدوار والوظائف الجديدة بالأرياف (تنوع الأنشطة والوظائف: الصناعات، الخدمات، السياحة الخضراء)، وعلاقة البوادي بالمدن (التيارات، الروابط، الهيكلة وتنظيم المجال)، الهرمية الحضرية، دور وسائل المواصلات في تقريب التراب (مدينة/قرية/عالم) ودراسة المجال الترابي، المعالجة الدينامية العقارية، تمركز الاستغلاليات، الاندماج في شبكات الصناعة الغذائية من المنبع إلى المستهلك، التطورات الديموغرافية وإفراغ الأرياف، وإغلاق خدمات القرب (المدارس، المستوصفات..) وتدهور النسيج الاجتماعي بالعالم المتقدم[22] .

وعلى مستوى المغرب تم تجاوز التقسيمات القديمة التي لم تعد منسجمة مع التقسيمات الإدارية الجديدة. فقد كان التقسيم إتنيا : قبائل تراب الدوار والفخذة والقبيلة قبل الاستقلال. وأصبح التقسيم عصريا لا يراعي الحدود الإتنية، بل يمزج بين عدة قبائل في وحدة جغرافية. ونظرا للنزوح القروي نحو المدن، برز تضامن جديد: على مستوى المجتمع المدني بدل القبيلة والعائلة، والتركيز على مجالات جديدة هي "الجهة" التي أصبحت في المغرب جماعة محلية، و16 جهة بالمغرب. والمغرب بصدد اعتماد تقسيم جديد يراعي المستجدات، ومنها الجهوية المتقدمة أو الموسعة، وذلك لاستيعاب مفهوم الحكم الذاتي في الصحراء المغربية المسترجعة سنة 1975 بعد تحريرها من الاستعمار الإسباني. في هذا الإطار يساهم عدد من الجغرافيين في النقاش الدائر حاليا بالمغرب، حول الجهة والجهوية

---

19 – راجع في هذا الصدد أشغال الملتقى الوطني الرابع لجغرافيي الأرياف: دينامية المجالات الفلاحية بالمغرب، 2005، (تنسيق موسى كرزازي، والمختار الأكحل)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 121.

20– راجع في هذا الصدد منشورات الجمعية الوطنية للجغرافيين المغاربة، منها أشغال الملتقى الرابع للجغرافيين العرب بالرباط، 2009 (تنسيق محمد الأسعد).

21– راجع في هذا الصدد أشغال الندوة الدولية المنظمة حول : المنتوجات الفلاحية والسياحية والتنمية المحلية، 2011، (تنسيق: موسى كرزازي، محمد أيت حمزة ومحمد الأسعد)، منشورات الجمعية الوطنية للجغرافيين المغاربة، ومجموعة البحث حول الأرياف، ولجنة التنمية المستدامة والأنظمة الريفية التابعة للاتحاد الجغرافي الدولي.

22 – راجع مقال بونمور .Bonnamour, J، موقع على الأنترنيت: بلائحة البيبلوغرافيا.

الموسعة، ومواضيع تهم معايير موضوعية لتقسيم البلاد إلى جهات في إطار الجهوية المتقدمة أو الموسعة داخل السيادة الوطنية المغربية (**23**).

ونظرا لتعقد الإشكاليات وتنوع المجالات الجغرافية برزت مشاكل مرتبطة بالبيئة والتلوث، وندرة الماء في عدة بلدان في مقدمتها بلدان المغرب الكبير وتعاقب الكوارث الطبيعية كالجفاف والجراد، والفيضانات، والزلازل وانزلاقات التربة ومخلفاتها. وأمام ظاهرة التغيرات المناخية يتم حاليا معالجة عدة إشكاليات مرتبطة بها، ومنها طرح أسئلة جوهرية تهم البشرية جمعاء، منها: التساؤل عن مصير الموارد الطبيعية التي يعيش عليها الإنسان؟ وكيف مواجهة تدهور المجال الطبيعي بالمنطقة المغاربية والعربية والمتوسطية؟ وأثر الإنسان في هذا التدهور؟ وكيف مواجهة تحدي الأخطار المحدقة بالبيئة؟ ونوعية الحياة حاضرا ومستقبلا؟

هذا ما يدفع الجغرافيين للاشتغال حول هذه الإشكاليات والقضايا الكبرى الوطنية والدولية ضمن فرق بحث متعددة التخصصات تهتم بدينامية الأوساط والمجتمعات، باعتبارها متحركة تتفاعل فيها عناصر متعددة. ويساهم الباحثون في ظهور مصطلحات ومفاهيم جديدة، في إطار مقاربات متنوعة تشخص الواقع بإبراز مؤهلاته الطبيعية وكيفية استغلالها، والإمكانيات البشرية وكيفية تثمينها، والتعرف على مختلف الإكراهات والعوائق لتجاوزها وتحويلها إلى إمكانيات، والتنبيه إلى الأخطار المحدقة بالإنسان لدرئها، واختراع وسائل ونظم الوقاية منها، وإشراك الساكنة المعنية في أي مشروع تنموي؛ وهذا ما يدخل في صلب التهيئة والتنمية المستدامة التي يشتغل عليها الجغرافيون في تكامل مع نظرائهم في تخصصات أخرى.

ونذكر في هذا الصدد بأن الفضل يرجع لعدد من الجغرافيين، أجانب ومغاربة، في إنجاز عدد من الأطالس أهمها : أطلس حوض سبو بغرض تهيئة حوض سبو (1970)، وأطلس المغرب 1960 (خرائط ولوحات 1950-1975) ثم أطلس الثروات الطبيعية (1984)، وأطالس حديثة حول المغرب تتناول مواضيع متعددة كأطلس حول المغرب الصادر في فرنسا سنة 2003[(24)] وكلها أدوات تبرز توزيع وأهمية الثروات الطبيعية والبشرية بالمغرب وإمكانية استغلالها العقلاني. وتم نشر الموسوعة الكبرى للمغرب في منتصف الثمانينيات ومنها مجلدان حول الجغرافيا الطبيعية والجيولوجيا والجغرافيا البشرية [25] .. ومعلمة المغرب (تحت إشراف مُحَمَّد حجي) التي ساهم فيها عشرات الجغرافيين للتعريف بجغرافية المغرب.

وفي العقد الأخير 2000-2010 تجند عدد من الجغرافيين المتمرسين على الميدان، أولئك الذين لهم إشعاع وطني وجهوي ودولي، وتفتح على المحيط الاقتصادي والاجتماعي، فشاركوا في عشرات تصاميم التهيئة و مشاريع التنمية في إطار إعداد التراب. فقد هيئوا بمعية خبراء وباحثين من تخصصات مختلفة، عددا من وثائق التهيئة والتعمير. وهذا ما يبرر تزايد الطلب على خدمات الجغرافيين في العقد الأخير.

---

23 – راجع في هذا الصدد، مُحَمَّد الرفاص، (2013)، من الإقليم إلى الجهة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة مُحَمَّد الخامس أكدال (الأصل درس افتتاحي بشعبة الجغرافيا الرباط). وكذا مختلف الوثائق التي أنجزها اللجنة المكلفة بإعداد تصور حول الجهة والجهوية بالمغرب والتي تنخض عنها تقسيم جهوي يضم 12 جهة منذ ابريل 2015.

24 – أحد الجغرافيين الذين نسقوا وأشرفوا على هذا الأطلس: مُحَمَّد الرفاص من جامعة مُحَمَّد الخامس أكدال (شعبة الجغرافيا بالرباط).

[25]La Grande En,cyclopédie du Maroc : 11 Volumes dont Vol. Géographie Physique, 1987 (S.Dir, El Gharbaoui, A), Vol. Géographie Humaine (S.Dir : Bencherifa, A. et Agoumy, T.)

فإذا كان الطلب مقتصرا على بعض الرواد الجغرافيين المغامرين كأشخاص ذاتيين منذ الستينات، ومنهم أولئك الذين أنجزوا دراسة حول تهيئة حوض سبو مرفوقة بأطلس سبو[26]، فإن الطلبات حاليا ترد مكتوبة بالواضح، ضمن الوثيقة المرجعية عند إطلاق صفقات إعلان عروض عن الدراسات (Les termes de références)، بحيث أصبح يشار فيها إلى ضرورة مساهمة جغرافي في الدراسة، بغض النظر عن اسمه، وهو أمر جديد ينبئ بغد أفضل للعمل الجغرافي .

في نفس السياق نشير على سبيل المثال لبعض التجارب لباحثين ساهموا بفعالية في إنجاز تصاميم ومشاريع تنموية من جغرافيين مغاربة وأجانب انخرطوا كخبراء في إعدادها، مما فتح آفاقا جديدة للجغرافيا كتخصص، وللجغرافيين كموارد بشرية، بحيث أصبحت أهميتهم تبرز على الساحة ويزداد الإقبال على إنتاجهم.

فعلى المستوى المحلي المرتبط بالجماعات القروية والحضرية شاركوا بفعالية في إنجاز تصاميم التهيئة الجماعية (Plan d'Aménagement Communal : PAC)، وتصاميم التهيئة بالمدن (PA)، والتصاميم الجماعية للتنمية (PCD: Plan Communal de Développement). والذي هو أهم تطور حالي؛ إذ أطلقت الدولة المغربية مطلع سنة 2010 مشاريع تنموية محلية على الصعيد الوطني لمواكبة الميثاق الجماعي الجديد الذي يلزم كل جماعة قروية وحضرية بإنجاز تصاميم جماعية للتنمية. وهو ورش كبير يمكن للجغرافيين أن يتصدروا فرق البحث في مكاتب الدراسات، وفي إطار الشراكة بين الجامعات والجماعات المحلية، بفضل تصوراتهم المجالية وعملهم الكرطغرافي المجسد للظواهر الجغرافية، ودقة تشخيصهم للواقع، ومهارتهم في التركيب؛ وهي مواصفات قلما تتوفر كاملة في غيرهم من المتخصصين في علوم أخرى، رغم تكاملها مع الجغرافيا.

وعلى المستوى الجهوى تم في الماضي القريب تهيئ المخطط المديري الجهوي (SDAR) كما هو الحال بالجهة الشرقية سابقا [27] وقد ظهر حاليا التصميم الجهوي لإعداد التراب بالجهات (SRAT) كما هو الحال بالتصميم الجهوي لإعداد التراب لجهة الرباط سلا زمور زعير[28].

وعلى صعيد مجمع المدن تم وضع وتهيئ مخططات توجيه التهيئة العمرانية (SDAU)، كتصميم توجيه التهيئة العمرانية (SDAU) بالرباط سلا تمارة.

وعلى الصعيد الوطني تعدد المساهمون في تحضير التصميم الوطني لإعداد التراب (SNAT). الذي تمخضت عنه وثيقة هامة هي التصميم الوطني لإعداد التراب الوطني في مطلع الألفية الثالثة وساهم فيه عدد من الجغرافيين كخبراء من داخل وخارج المغرب[29].

---

26 – على سبيل المثال دانييل نوان هو أحد الجغرافيين المساهمين في هذا العمل التنموي (راجع أطلس حوض سبو بالمغرب).

27–على سبيل المثال يمكن الإشارة إلى مساهمة عدد من الجغرافيين في إنجاز العمل الميداني الهام لهذا التصميم من جامعة محمد الأول بوجدة ومن جامعة محمد الخامس بالرباط و أشرف على العمل الأستاذ فضل الله الجامعي.

28–ساهم في إنجاز هذا العمل عدد من الجغرافيين من جامعة محمد الخامس ضمن فريق بحث متعدد التخصصات: مرحلة إعداد التقرير المنهجي والتشخيص القطاعي والترابي: محمد أيت حمزة، موسى كرزازي ومحمد حنزاز، وميلود شاكر، ومحمد أدرغال، وفضل الله عبداللطيف (2009–2013).

29–وزارة إعداد التراب الوطني والماء والبيئة، المملكة المغربية، التصميم الوطني لإعداد التراب (الخلاصة) 2003، مديرية إعداد التراب الوطني، علوم العمران والتنمية مجموعة ثمانية، (140 صفحة).

وتجدر الإشارة أيضا إلى "التصميم الوظيفي والتنظيمي لتهيئة الواجهة الأطلسية" (SOFA)[30] وذلك لإعداد الساحل الممتد من الجديدة إلي القنيطرة. وكان على رأس الفريق الذي أنجز هذه الدراسة أحد الجغرافيين الفرنسيين المتمرسين على سياسة إعداد التراب، وعدد من الجغرافيين المغاربة الذين اشتغلوا في الظل. وقد لقيت الدراسة ترحابا وإصغاء من الفاعلين السياسيين والمنتخبين والاقتصاديين والاجتماعيين في العاصمتين الاقتصادية والسياسية. ويظل هذا التصميم مرجعا أساسيا لكل مهتم بالشريط الساحلي الأطلنتي الرابط بين الجديدة والقنيطرة، مرورا بالعواصم الاقتصادية الدار البيضاء والرباط العاصمة السياسية. فقد أبرز التشخيص مؤهلات وإمكانيات المنطقة الحيوية المدروسة على الشريط الساحلي الأطلنتي الذي يمثل قلب المغرب النابض، وحدد الإكراهات والعوائق، ونبه إلى بعض الأخطار المحدقة بالموارد ووقعها البيئي، وكذا إلى القرارات التي لم تكن في محلها؛ ومنها إقدام الدولة على تشييد مدن جديدة تحيط بالمدن الكبرى (تامسنا بجوار الرباط تمارة)، دون أن تملأ الفراغات الموجودة في وسط الرباط، وهو ما يشجع على احتداد المضاربة العقارية بهذه الأخيرة، كما اقترح حلولا لتنظيم وتسهيل حركة السير والجولان.

نموذج لتصاميم التهيئة الجماعية (PAC)[31] في علاقتها بتدريس الجغرافيا بالجامعة

(خرائط التشخيص والتوجهات بالملحق)

نورد نموذجا مركزا حول دراسة هامة بدائرة سيدي سليمان، على سبيل المثال، همت ست جماعات في إقليم القنيطرة بالمغرب، (خرائط التشخيص والتوجهات بالملحق)، حيث ساهم فيها جغرافيون وخبراء من تخصصات أخرى. وانتهت الدراسة بتقديم تشخيص مدقق لكل جماعة قروية (نصا وكرطغرافيا). واقترحت حلولا وتوجهات[32] همت أساسا اختيار مراكز قروية جديدة لهيكلة الجماعة القروية (مركز أو مركزين في كل جماعة لهيكلتها)، ومختلف المنشآت الاقتصادية (معامل،..) والاجتماعية (مدارس، مستوصفات) وبنيات تحتية (طرق جديدة، قناطر، جلب الماء الصالح للشرب، والربط بشبكة الكهرباء...) ومرافق اجتماعية (دور للشباب ونوادي للمرأة، والفتاة، ومقابر، ومساجد) ؛ وهو ما كانت تفتقر إليه الجماعات القروية فيما مضى

فخلال تهيئة الدراسة تبين للجغرافيين بعض نقط الضعف التي عليهم تداركها. منها أن الجغرافي كان يقوم بوصف للظاهرة دون ربط بين المعطيات. فهو يدرس السكان في تطورهم بدون أن يربط هذا التطور بالحاجيات المجتمعية؛ كربط تطور السكان، خاصة الأقل من ست سنوات، مع ما يتطلب توفيره لهم من أقسام ومدارس على الأمد القصير، والمتوسط والبعيد، ثم بناء إعداديات بعد خمس سنوات، وتشييد ثانويات تأهيلية بعد أربع سنوات، ومؤسسات جامعية بعد ثلاث سنوات. ويمكن كذلك الربط بين

---

30 -راجع في هذا الشأن الدراسة المذكورة ومنها الخلاصة النهائية للمرحلة الأولى :

Royaume du Maroc, Ministère de l'Aménagement du Territoire, de l'Eau et de l'Environnement, (DAT), Étude du Schéma d'Organisation Fonctionnelle et d'Aménagement de l'aire métropolitaine centrale CASABLANCA-RABAT, Rapport définitif de la première phase; Synthèse, BET DIRASSET, octobre 2005.

31 -كرزازي موسى، 2005، "دور الجغرافي في إعداد تصميم التهيئة الجماعي" ضمن كتاب :"الجغرافيا التطبيقية في المغرب، (تنسيق آيت حمزة محمد وكرزازي موسى)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ،"سلسلة ندوات ومناظرات رقم 122،(بالفرنسية).

[32] راجع نماذج في الملحق من وثائق العمل الكرطغرافي: التشخيص والتوجهات للجماعات الست بدائرة سيدي سليمان.

تطور عدد السكان لمعرفة عددهم الذي سيدخل عالم الشغل (15- 59سنة) لتوفير مناصب لهم، وذلك باقتراح بناء منشآت اقتصادية لتلبية حاجياتهم من طرف الدولة أو القطاع الخاص. والفئة العمرية (60 فما فوق) لبناء دور النقاهة، وحدائق ومنتزهات لكبار السن...

فإذا كان تدريس الجغرافيا بفروعها مهما في المستوى الأول الجامعي، بإعطاء الأوليات الخاصة بالمادة والمصطلحات والمفاهيم الأساسية، فلا بد من التفكير في المرحلة الثانية في توجيه الطلبة نحو التركيب للمعطيات والمعلومات، لتكون نافعة في التهيئة والتخطيط المستقبلي. فلا يعقل أن يظل التخصص الجغرافي عبارة عن فروع جغرافية ومجزوءات ووحدات لا رابط بينها، تقدم كصناديق خزانة أو مكاتب، بحيث لا يربط بينها رابط. وعلى سبيل المثال، على الجغرافي الذي يدرس الطبقات الجيولوجية في مجزوءة المرفولوجية والتهيئة المجالية، أن يدرك أهمية القاعدة الصخرية القابلة للبناء كالحث الرملي، أو الكلس، ويتنبه إلى خطر البناء على قاعدة صخور غير منفذة كالصلصال والطين، لينبه ذوي القرار إلى ضرورة منع البناء فوقها لتقي الساكنة من خطر انهيار محتمل. وهذا ما حدث ويحدث بالهوامش الشمالية لمدينة فاس، أو ما يمكن أن يحدث بالأحياء الهامشية المشيدة على الصلصال على سفوح وادي أبي رقراق بمدينة الرباط، رغم علم المسئولين بالأخطار المحدقة بساكنة تلك الأحياء (دوار الحاجة، ...حي الفرح).

وعلى الجغرافي أن يدرس التوطين (الموضع والموقع) ليس مجردا عن التطبيق العملي، بل في ارتباط وعلاقة جدلية مع التيارات التجارية، والحركات السكانية، وطبيعة الصخور القاعدية للموضع، وهل هو صالح لأن يكون موطنا لنوع من الصناعات، والمرافق الاجتماعية والسكنية، والتجارية أم لا؟ إن للجغرافي خبرة هامة بالعمل الميداني قد لا تتوفر لغيره، فعليه استغلالها استغلالا عقلانيا وعمليا. فلا معنى لدراسة جغرافية على شكل مونوغرافيات. فالتهيئة والإعداد الترابي على كل المستويات المحلية الجهوية والوطنية، يتطلب من الجغرافي أن لا يقف عند مرحلة التشخيص، ويترك للآخرين التوجيه واقتراح الحلول للمشاكل الموضوعة. فإلى عهد قريب، كان بعض الجغرافيين يتشددون في الحرص على التوقف عند مرحلة التشخيص، معتبرين أن الجغرافي لا حول ولا قوة له ليقترح حلولا، لأن ذلك ليس بإمكانه وليس من اختصاصه، وهو أمر غير صحيح.

لقد حان الوقت لينتفض الجغرافي ويتجرأ بشكل عقلاني وعلمي وعملي، وأن يتخطى مرحلة الوصف والتشخيص ليصل إلى مرحلة اقتراح حلول، ووضع توقعات، لدرأ خطر قادم مستقبلا.

إن الظروف ملائمة حاليا للجغرافيين، باعتبار أن البلاد تعيش أوراشا كبرى للتنمية، على الجغرافي أن ينخرط فيها، ومنها على سبيل المثال، إقبال الدولة على تعميم تغطية كل الجماعات المحلية قروية أو حضرية بدراسات تهم التصاميم الجماعية للتنمية (PCD). إضافة إلى تجديد تصاميم التهيئة الحضرية التي تقادمت وانتهى أجلها وحان الوقت لتحيينها؛ وتصاميم التهيئة الجهوية ومنها ثلاث جهات شرع في إنجازها (بني ملال-أزلال، جهة العيون، وجهة الرباط سلا زمور زعير). وتبقى جهات أخرى ستحظى بالتغطية، وللجغرافيين فيها دور حاسم ضمن فرق الدراسة لإعداد التراب الوطني.

في هذا الصدد، نذكر بأنه على المستوى الجامعي، وعلى مستوى البحوث في الجامعة بادر عدد من الجغرافيين من جامعة مُحَمَّد الخامس، وجامعات أخرى بتقديم مشاريع بحث تهم الجهات التي تتواجد فيها جامعاتهم، ومنها شعبة الجغرافيا بكليات الآداب والعلوم الإنسانية بجامعتي مُحَمَّد الخامس، وابن طفيل. هذه الأخيرة، على سبيل المثال، قد أنجزت عدة دراسات تطبيقية تهم البحث

الجغرافي التطبيقي والتهيئة المجالية، والتي أشرف عليها جغرافيون متمرسون؛ منها دراسة حول الماء والبيئة والتنمية بجهة الغرب شراردة بني احسن 2000-2002، وتصميم التهيئة لمركز "مكرن" المجاور للقنيطرة (2001)، وتصميم التهيئة الجماعي لجماعة "أولاد سلامة" (2002) ، وكذا جغرافيون من شعبة الجغرافيا بفاس حول أخطار الانهيارات بالمناطق الهامشية لمدينة فاس الشمالية (راجع البيبلوغرافيا أسفله).

كما شارك جغرافيون على مستوى بعض الجهات في تهيئ التصميم الجهوي لإعداد التراب للجهة وعلى سبيل المثال، جغرافيون من شعبة الجغرافيا بكلية الآداب ببني ملال. فبضل هذه الدراسة المتعددة التخصصات التي تتصدرها الجغرافيا، تتمكن الجهة من التعرف على التشخيص الترابي والقطاعي. خاصة وأن الدراسة النهائية تخلص إلى تحديد مشاريع ترابية متنوعة تسهل التدخل المباشر لذوي القرار، وتنير سبيل التنمية للمنتخبين إذا أحسنوا تطبيقها، ووعوا بأهميتها الاستراتيجية ووفروا المال واللوجستيك لإنجازها. لكن التجربة قد أظهرت بأن عددا من التصاميم شاخت لعدم تطبيقها في أوانها، نظرا لإهمالها فوق رفوف المكاتب بالإدارات المغربية رغم أهميتها ومصداقيتها. ويرجع التأخر في تنفيذ توجهات تصاميم التهيئة، في عدة حالات، إلى الرهانات السياسية والاقتصادية والمضاربات العقارية التي يذكيها بعض "المنتخبين" وجماعات الضغط، خاصة في ضواحي المدن الكبرى كالرباط، الدار البيضاء ليجنوا من ورائها أرباحا خيالية في وقت وجيز ...

ثالثا. إعداد الموارد البشرية الجغرافية الكفأة لتسهيل انخراطها في إنجاز برامج ومخططات التهيئة والتنمية

يفترض في الإعداد الجيد للموارد البشرية الجغرافية توفر عدة مواصفات، تترجم في نوعية وجودة تكوينها وتأهيلها لمواكبة التطورات السريعة، ومنها عولمة التبادل والاقتصاد، والتي هي أهم ظاهرة يشهدها العالم حاليا. إن إيجابيات العولمة لا تخفى على أحد، وإن كنا ممن يناهض بعض مظاهر الغلو في العولمة المنطلقة من الرأسمالية المتوحشة، وننادي بتعويضها بعولمة إنسانية تكرم الإنسان وفي خدمة التنمية البشرية والمستدامة، وليس فقط من أجل الربح المادي السريع بكل الطرق (الغاية تبرر الوسيلة).

لابد للجغرافي أن يكون على علم بالمستجدات، وبما يجري في العالم من تطورات وأحداث وقضايا كبرى ليتفاعل معها إيجابيا في وطنه وبلدته وقريته، مسلحا بالمنهجيات الحديثة، والتقنيات العصرية، والأدوات الجديدة المستخدمة في البحث العلمي، محتكا مع باحثين آخرين من علوم قريبة أو متكاملة مع الجغرافيا، مستفيدا ومفيدا في نفس الوقت، فارضا نفسه بقوة الإقناع والمصداقية العلمية للمادة الجغرافية في البحوث التي يشتغل عليها، محترما للأعراف العلمية المتعارف عليها دوليا.

وما الشبكة العنكبوتية المرافقة للعولمة كوسيلة تواصل سريعة وفعالة، بل ثورة في عالم الاتصال والتواصل، وكذا تطور وسائل النقل البرية والبحرية والجوية وحتى الأقمار الاصطناعية، إلا رسائل مجسمة للجغرافيين توضح لهم بأننا نعيش عصر التكنولوجية الفائقة التطور الذي يطلق عليه عصر ما بعد الحداثة، واقتصاد المعرفة. وكان من أول نتائجها سرعة الاتصال والحصول على المعلومات في تنوعها وغزارتها، الشيء الذي أدى إلى تمازج بين سكان العالم، وسهل النقاش بين العلماء والخبراء عبر الإطلاع على ما يعرض في الأنترنيت، الذي يشكل نهرا غزيرا من المعلومات والأخبار والنظريات والأفكار والمشاريع الحالية والمستقبلية التي يتم الإطلاع عليها وعلى الجديد منها، وما يخترع في أسرع وقت ممكن، والتيارات الاقتصادية والصفقات التجارية الغير مرئية. كما تبين حقيقة تداخل المجالات، بحيث أصبح العالم قرية صغيرة (بونمور، Bonnamour, J., موقع الأنترنيت). وما توقيع اتفاقيات التبادل الحر بين المغرب والإتحاد الأوروبي، وكذا مع الولايات المتحدة الإمريكية، وفتح الحدود أمام تنقل السلع والبضائع والرساميل (الإتحاد

الأوروبي، بلدان الخليج، بلدان شرق آسيا وإفريقيا) إلا مظاهر لها. ويستثنى منها ظاهرة تحركات الأشخاص الراغبين في الهجرة من دول الجنوب نحو بلدان الشمال، فهناك تضييق كبير على تحركاتهم لعدة أسباب.

هذه التطورات، يجب أن تؤثر ايجابا على تكوين الموارد االبشرية الجغرافية من طلبة وباحثين، وجغرافيين مهنيين، لتستجيب البحوث والأعمال الجغرافية الجديدة المستندة على متطلبات العصر، للديناميات الجديدة في عالم الأرياف والمدن والاقتصاد والجيوسياسة، والمنطلقة من إشكاليات تهم مجتمعات العالم النامي والمتقدم. كل هذا يجب أخذه بعين الاعتبار حين تكوين الجغرافيين، لمعالجة التحولات الجديدة المتسارعة في العالم، وقياس مدى انعكاساتها الايجابية والسلبية على المجالات الريفية والحضرية، لتهييئ الحلول لها والتوقع لما سيأتي، لاتقاء أخطارها المحتملة[33].

دور كهذا، يعني تجديد طرح الإشكاليات والفرضيات وتحديث المناهج والمقاربات وتقنيات العمل، وإتقان اللغات الأجنبية والفنية، لمواكبة المتطلبات الحديثة للمجتمعات والدول، في إطار يخدم التنمية البشرية والمستدامة، وفي اتجاه يقلص من الفوارق الاجتماعية والاقتصادية على الصعيد العالمي والوطني والجهوي والمحلي.

على هذا الأساس، لم يعد الجغرافي يصف ويفسر فقط، بل أصبح يحلل الظواهر ويقارنها بغيرها، ويقيسها كميا وكيفيا من أجل الوصول في مرحلة أولى، إلى تشخيص استراتيجي عبر إبراز المؤهلات (ثروات طبيعية : نفط، غاز، معادن، سهول وأنهار وغابة ومواقع إستراتيجية) من أجل حسن استثمارها، وكذا ضبط الإمكانيات والموارد البشرية (تكوين وتأهيل الإنسان) من أجل تثمينها، بتشغيل الإطار الملائم في المكان المناسب، والتعرف على الإكراهات والمعيقات (تضرس، صحاري،...) من أجل تجاوزها، وبتحويل بعضها إلى موارد قابلة للاستثمار (جبال وصحاري رملية واستثمارها كمجال للسياحة)، والتعرف على الأخطار (زلازل، فيضانات، جفاف، انزلاق التربة، إعصار) للوقاية منها ؛ وهذا ما يدخل في باب الإمكانية للحد من تبعية الإنسان للطبيعة (الحتمية الطبيعية)، بغرض تطويعها.

وفي مرحلة ثانية، وعلى ضوء التشخيص، يخطط الجغرافي للمستقبل، ويتنبأ بما سيحدث في ميدان الديمغرافيا (اتجاه النمو الديمغرافي)، والاقتصاد (الأزمات وفترات الركود)، والكوارث الطبيعية (الجفاف، والفيضانات، والزلازل "تسونامي" والأعاصير المدمرة "كاترينا" و"صاندي" كمثال)، والاضطرابات السياسية والاجتماعية والعرقية والمذهبية (حروب الشرق الأوسط وظواهر التطرف)، ليضع السيناريوهات المحتملة وفق قاعدة المعطيات المتوفرة لديه، واستباق حدوثها للتخفيف من احدتها ومن لخسائر المادية والبشرية المحتملة قبل وقوعها.

انطلاقا من هذه المقاربة العلمية والعملية والتوقعية، يحاول الجغرافي في إطار طرح التساؤلات الكبرى التي تهم الإشكاليات الكبرى المطروحة، أمام ساكنة المدينة والريف بالدول النامية خاصة؛ ومنها معالجة: كيف يمكن حل إشكالية المدن العملاقة المرتبطة بحركة السير والجولان والازدحام في فترة الذروة كالدار البيضاء والقاهرة؟ وماذا يمكن فعله أمام هشاشة الساحل الذي يزداد تلوثا في مياهه وتدهور شواطئه، وتقعر أجرافه الميته بسب الحفر في المقالع؟ وكيف يمكن مواجهة السكن الغير اللائق ومدن القصدير؟ وما السبيل

---

33 –راجع في هذا الصدد مقال الباحث ابراهيم أقديم حول الموضوع ورد في مؤلف الجغرافيا التطبيقية تحت عنوان:

AKDIM Brahim, 2005, « Analyse spatiale : pour la maîtrise des défis potentiels d'une gestion opérationnelle ». In La Géographie Appliquée au Maroc, Coordination Ait Hamza, M. & Kerzazi, M., Pub. FLSH, UM5A, Rabat, Série : Colloques et Séminaires n°122.

التوافقي للحد من التوسع الحضري على جودة الأراضي الفلاحية بدون خنق المدن؟ وكيف يمكن التخطيط، حسب التوقعات الديموغرافية، لبناء وحدات سكنية مواكبة لتطور الساكنة، ومرافق اجتماعية واقتصادية؟ وكيف يمكن مواجهة التدهور البيئي، وكيفية استثمار الموارد الطبيعية وتجديدها بدون القضاء عليها؟ وكيف يمكن سبر حاجيات الساكنة لتلبيتها قبل وقوع اختلالات كبيرة، تؤدي إلى اضطرابات، وعدم استقرار وفوضى، كما الحال في الواقع المغاربي والعربي والافريقي والصراعات الدموية التي لا تنتهي؟

هذا يتطلب من الجغرافي بذل جهود إضافية ليتمكن من تكوين رصين في مادة الجغرافيا، ويواكب المستجدات عبر التكوين المستمر، والاستئناس بالتقنيات الجديدة والتعرف على المناهج الحديثة، والقيام بالأعمال الميدانية والابتعاد عن إعادة نسخ ما أنجزه الآخرون.

بدون شك أن الجغرافيا كتخصص استراتيجي للتدريس والبحث العلمي والتهيئة، خاصة في البلدان المتطورة، قد جددت على المستوى المنهجي والتقنيات المستعملة، مناهج بحثها خلال العقود الأخيرة لنهاية القرن 20 وعشرية القرن 21؛ حيث عالج الجغرافيون مواضيع وإشكاليات بطرق ومناهج جد متطورة، وأدوات دقيقة القياس عبر تحليل صور الأقمار الاصطناعية بعد تجاوز استعمال تأويل الصور الجوية، من أجل ضبط حدود المستوطنات والمدن والأحياء، وتوزيع السكن وأشكاله، وتطور توسعها على المجال...ووضعت على أساسها تصاميم المدن، واستخدمت المناهج الكمية، وخلقت محطات للتجارب الميدانية، وأقيمت مراصد لرصد الظواهر بطرق علمية (مرصد الجفاف...المرصد الوطني للتنمية البشرية، مراصد للهجرة...). كل هذا أثرى التفسيرات وطور التمثيل الكرطغرافي المساند بالحاسوب، حيث دققت توطين الظواهر الجغرافية وقياسها بشكل دقيق

(Idrisi ، MAPinfo) مزودة بقاعدة المعطيات، باستعمال برامج المعالجة الإحصائية الجد متطورة (EXCEL, SPSS, SASS)، ونظم المعلومات الجغرافية (SIG). وإذا كان هذا التطور بارزا في الجامعات الأجنبية المتطورة التي أصبحت مختبرات للتنمية في بلدانها، مندمجة مع محيطها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، فإن عددا من الجامعات العربية لا تزال متخلفة على مستوى الأفكار والتكوين التنموي والاختراعات والمبادرات، وهو ما يبرر ترتيب معظمها خلف جامعات البلدان المتقدمة التي قطعت أشواطا في تفاعل الجامعة مع محيطها.

هذه الطرق الحديثة والمقاربات الجديدة في البحث الجغرافي مكنت الجغرافيين في العالم المتقدم من تدقيق البحث وضبط المعلومات وتحيينها، وتشخيص الواقع لفهم الميكانزمات المتحكمة في الظواهر والوقائع الجغرافية، مع تطوير التفكير النظري، ووضع النماذج المتنوعة (Les modèles). وهو ما ساعد مواردها البشرية على الانخراط الفعلي والعملي في وضع استراتيجيات التنمية المجالية والمخططات التهييئية والتنموية لبلدانها ولشعوبها. فمتى يعي العالم العربي والاتحاد المغاربي هذه التطورات ليقوم بنهضة علمية وتكنولوجية واعية، على غرار ما قامت به الصين الشعبية ودول صاعدة، كانت إلى عهد قريب في مستوى عدد من بلداننا العربية، وحققت اليوم تطورا مشهودا لها به في كل العالم، ككوريا الجنوبية، وتايوان والصين الشعبية والهند والبرازيل؟ إن المؤهلات والإمكانيات المادية متوفرة، وتبقى الإرادة السياسية والوعي العربي والمغاربي الجماعي لتحقيق التنمية البشرية والمستدامة المنشودة، ليتبوأ العالم العربي والمغاربي المكانة التي يستحقها بين بلدان العالم المتطور.

خلاصة

الجغرافية تخصص استراتيجي إن أحسن استعماله من طرف صانعيه. فإذا كانت الجغرافيا في الماضي القريب، قد استغلت كمادة تصلح لخدمة الحرب[34] وخدمة الاستعمار فيما أطلق عليه "الجغرافية الاستعمارية"، فإنها أصبحت اليوم، تخصصا استراتيجيا لخدمة التنمية؛ لكونه يساهم في وضع مخططات التهيئة وبرامج التنمية البشرية والمستدامة لخدمة البشرية.

من مواصفات جغرافيي القرن 21 أن يكونوا مهيئين ومنمين، مواكبين لمتطلبات مجتمعاتهم عبر تكوينهم الرصين العلمي في مادتهم؛ كل حسب تخصصه، وتفتحهم على علوم قريبة من فروع اختصاصهم الجغرافي، ومراجعتهم لمقارباتهم ومناهجهم وتقنياتهم وأدوات عملهم في التنقيب والبحث، وإتقانهم الجيد للغات الأجنبية، ولنظم الإعلاميات الجغرافية، ليتمكنوا من مسايرة التطورات الحالية والمستقبلية للأوضاع الجهوية والدولية والوطنية في عالمي الأرياف والمدن والاقتصاد، والعلاقات الدولية.

وليستمر الاعتراف بوزن ودور الجغرافيين في إنجاز بحوث تنموية، وتدريس بالأهداف والكفايات، فهم مطالبون اليوم أكثر من الأمس بمواكبة ما تتطلبه الأوضاع الجديدة بشكل يدفع في اتجاه إعادة هيكلة بلدانهم والعالم، عبر التعبير عن أرائهم والمساهمة بخبراتهم في تهيئ المجالات الجغرافية المتنوعة، وفي اتجاه التغيير الإيجابي، لفائدة التنمية البشرية، والحفاظ على التوازن الطبيعي وحماية الموارد الطبيعية من التلوث، وتجديدها، لخدمة البشرية حاضرا ومستقبلا؛ وهو ما يسمى بالتنمية البشرية والمستدامة.

بذلك نخلص إلى تكوين جغرافي نافع للبشرية، وجغرافيين لهم مصداقية، وعليهم طلب في سوق الشغل. ومن هنا تدعو الضرورة تسليح الطالب (ة) الجغرافي (ة) بتكوين علمي أكاديمي جغرافي رصين، وفي نفس الوقت بتكوين تطبيقي عملي وتوقعي، لتهييئه للمشاركة في مشاريع التنمية في إطار إعداد التراب والمشاركة في إعداد وثائق تهيئة المجال.

ومما يشجع على الإقدام بدون تردد على هذا التوجه، هو أن الطلب على خدمات الجغرافي أصبح متزايدا للمساهمة في وضع وثائق لمشاريع وتصاميم التهيئة والتنمية، خلال العقود الثلاث الماضية في عدد من أقطار المعمور ومنها المغرب الذي فتح أوراشا تنموية كبرى لابد للجغرافي أن يترك بصماته في إنجازها.

---

[34]- إيف لاكوست : الجغرافيا أداه لخدمة الحرب ،1976 ،

Yves Lacoste, 1976, La géographie, ça sert d'abord, à faire la guerre,Coll. Maspero ()

ملحق

نموذج للدراسات التطبيقية والتنموية

: مجموعة خرائط منبثقة عن توجهات تصاميم التهيئة الجماعية

(ست جماعات بدائرة سيدي سليمان، بإقليم القنيطرة)

تصميم التهيئة الجماعي(PAC)

Plan d'Aménagement Communal

استعمال المجال

Mode d'occupation du Sol

كنمزذج للتشخيص.

******

التوجهات: Schémas d' Orientations

دار بلعمري: خريطة استعمال المجال

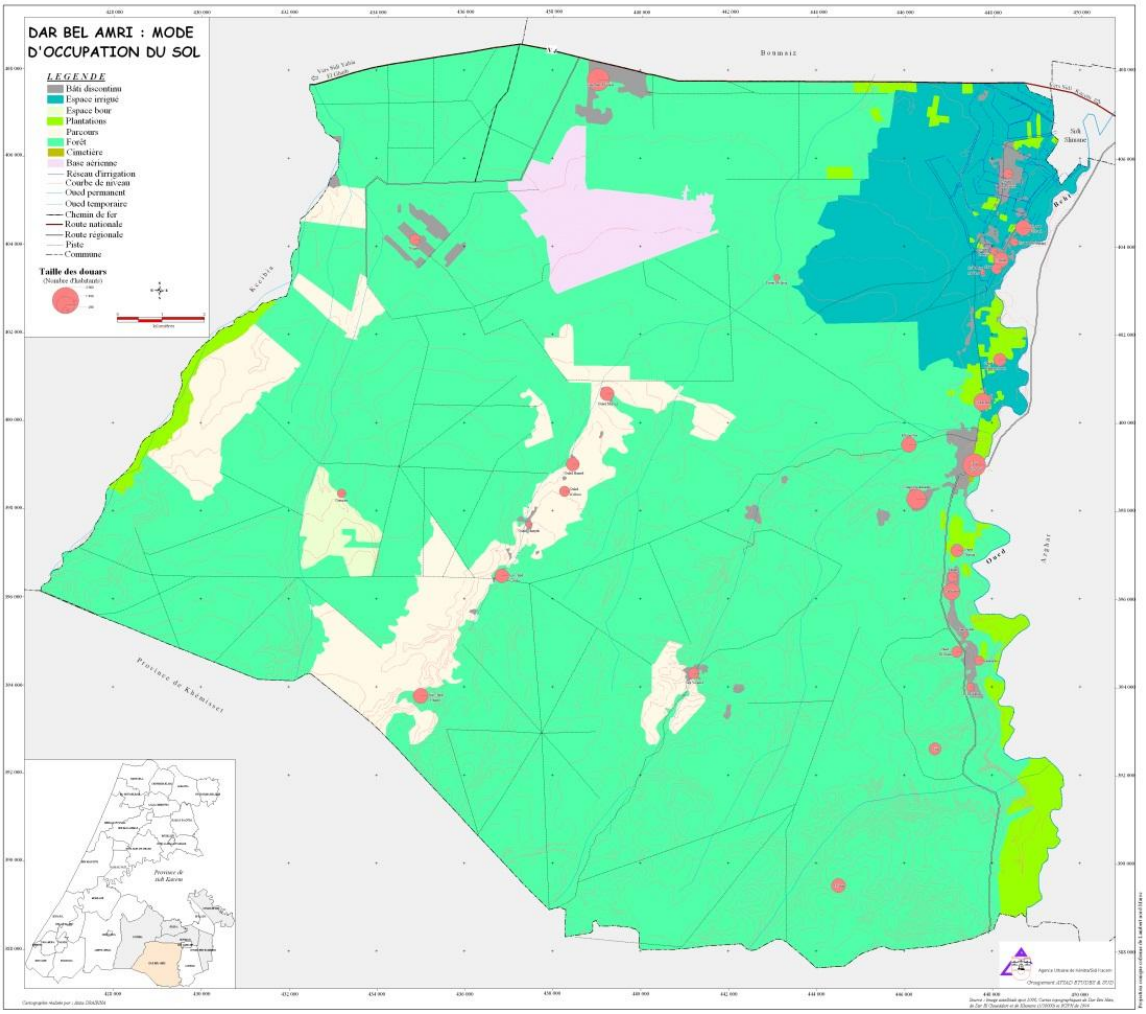

دار بلعمري: خريطة التوجهات

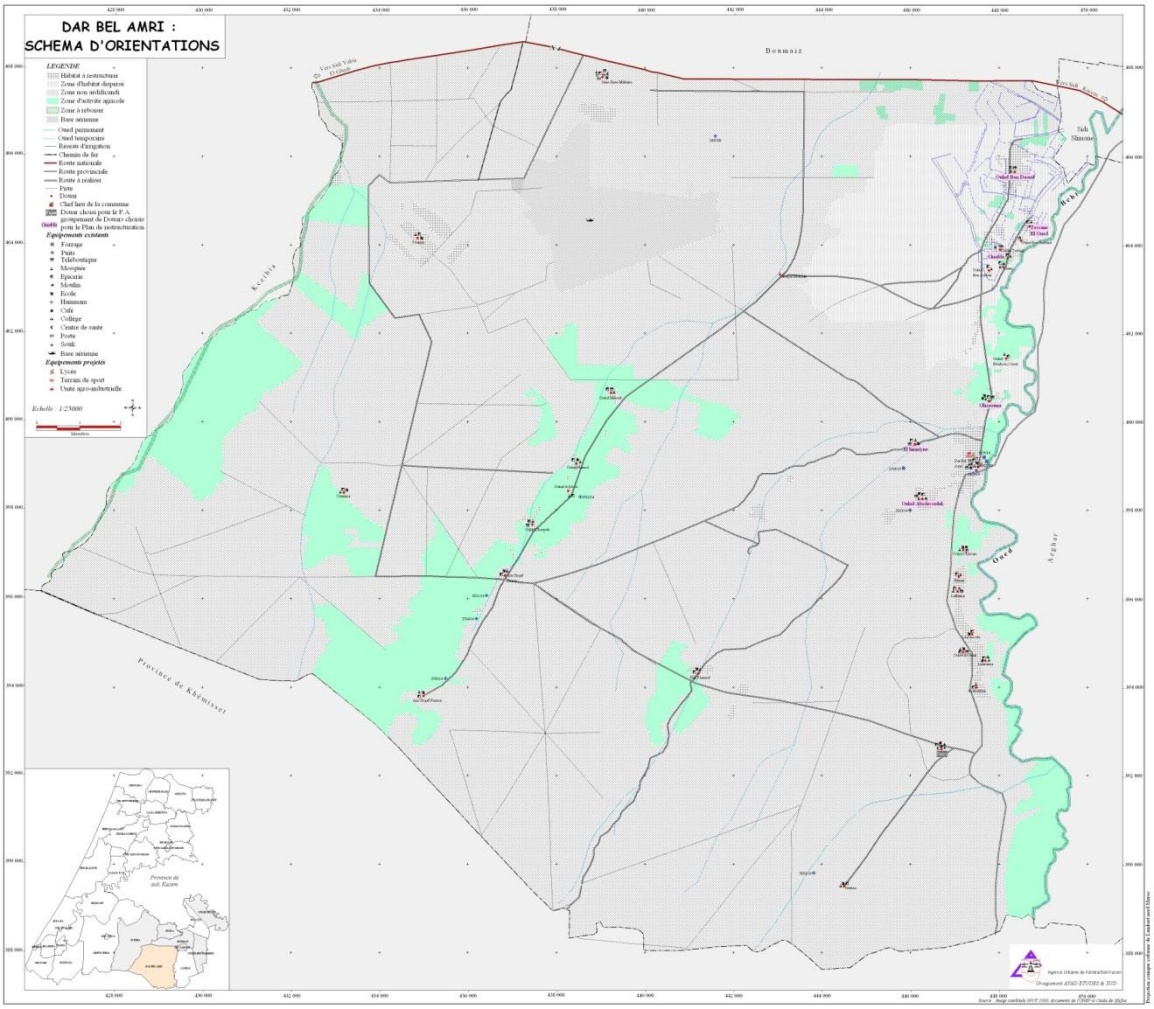

جماعة قصيبية: خريطة استعمال المجال

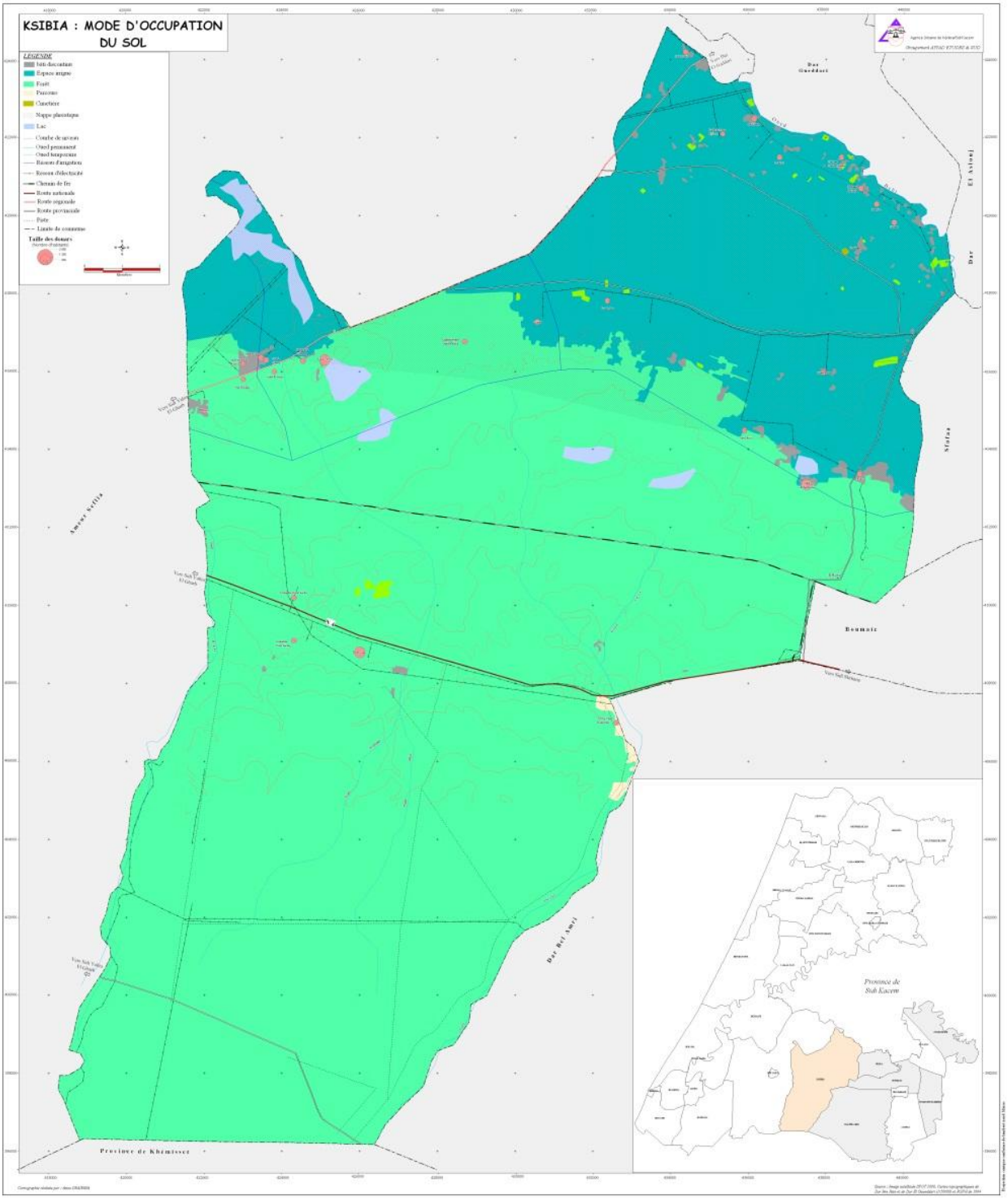

جماعة قصيبية: خريطة التوجهات

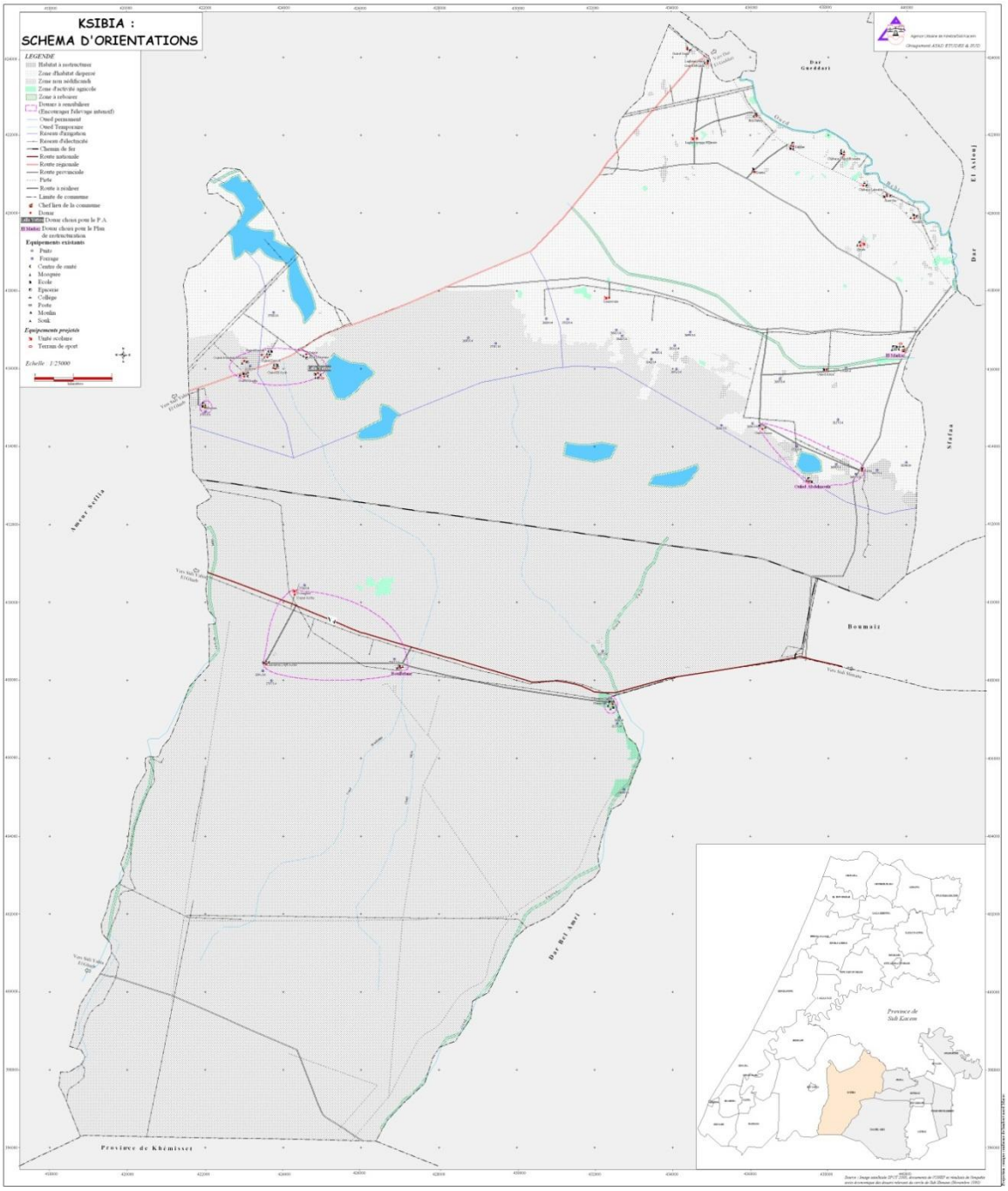

جماعة الصفافعة: خريطة استعمال المجال

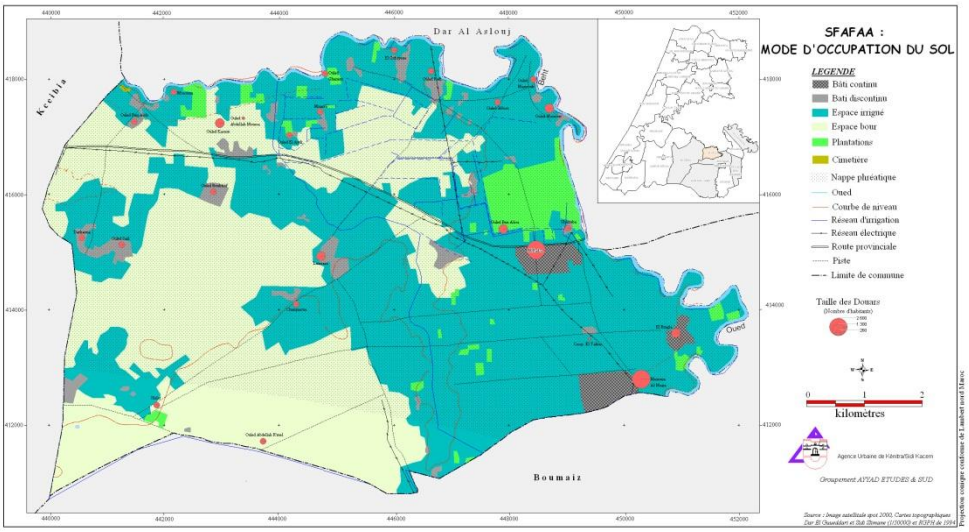

جماعة الصفافعة: خريطة التوجهات

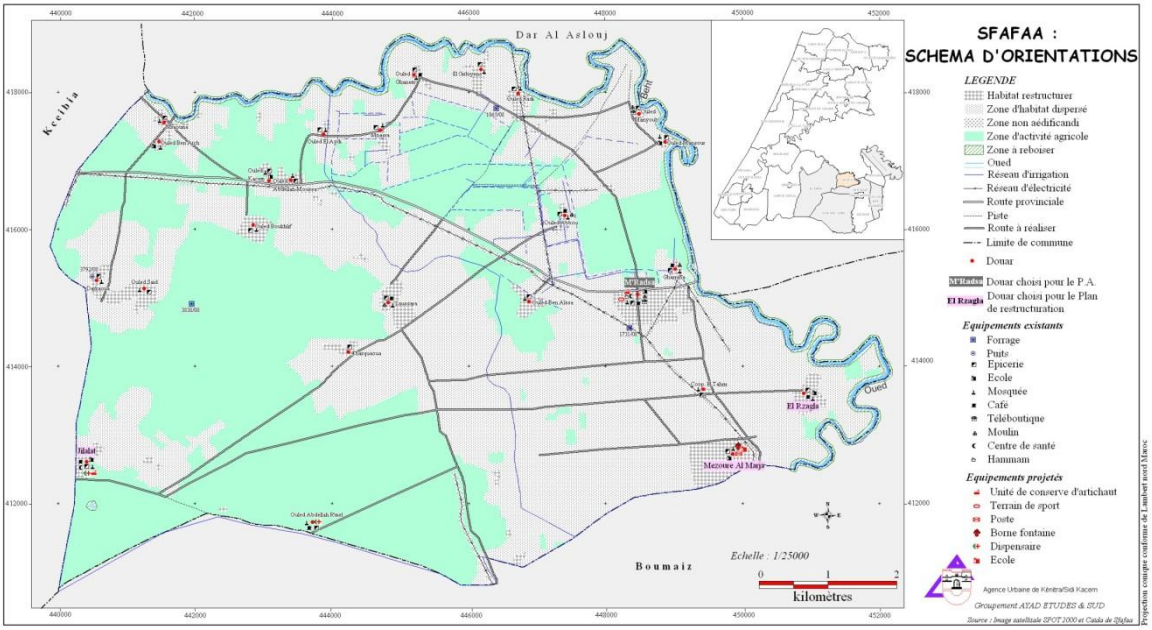

جماعة أولاد احسين: خريطة استعمال المجال

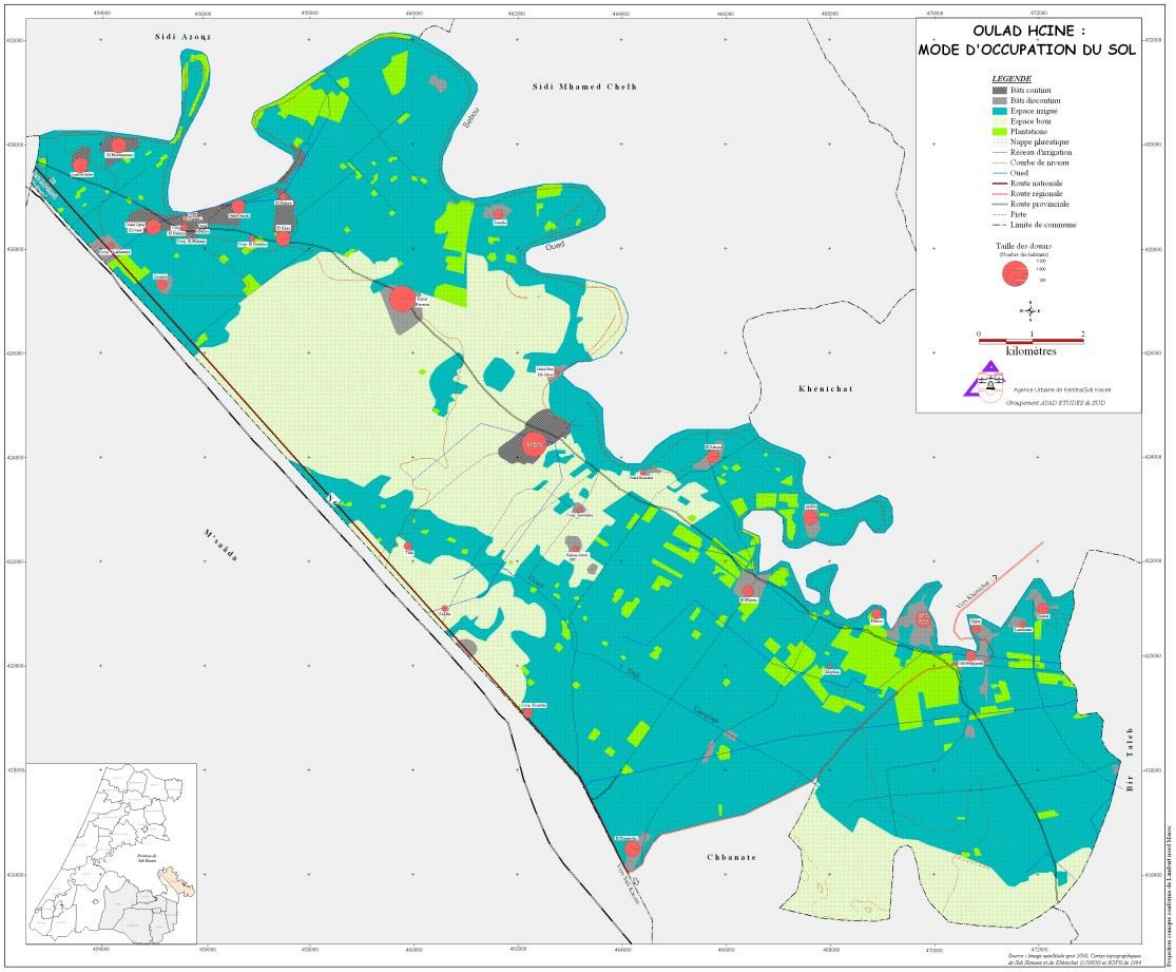

جماعة أولاد احسين: خريطة التوجهات

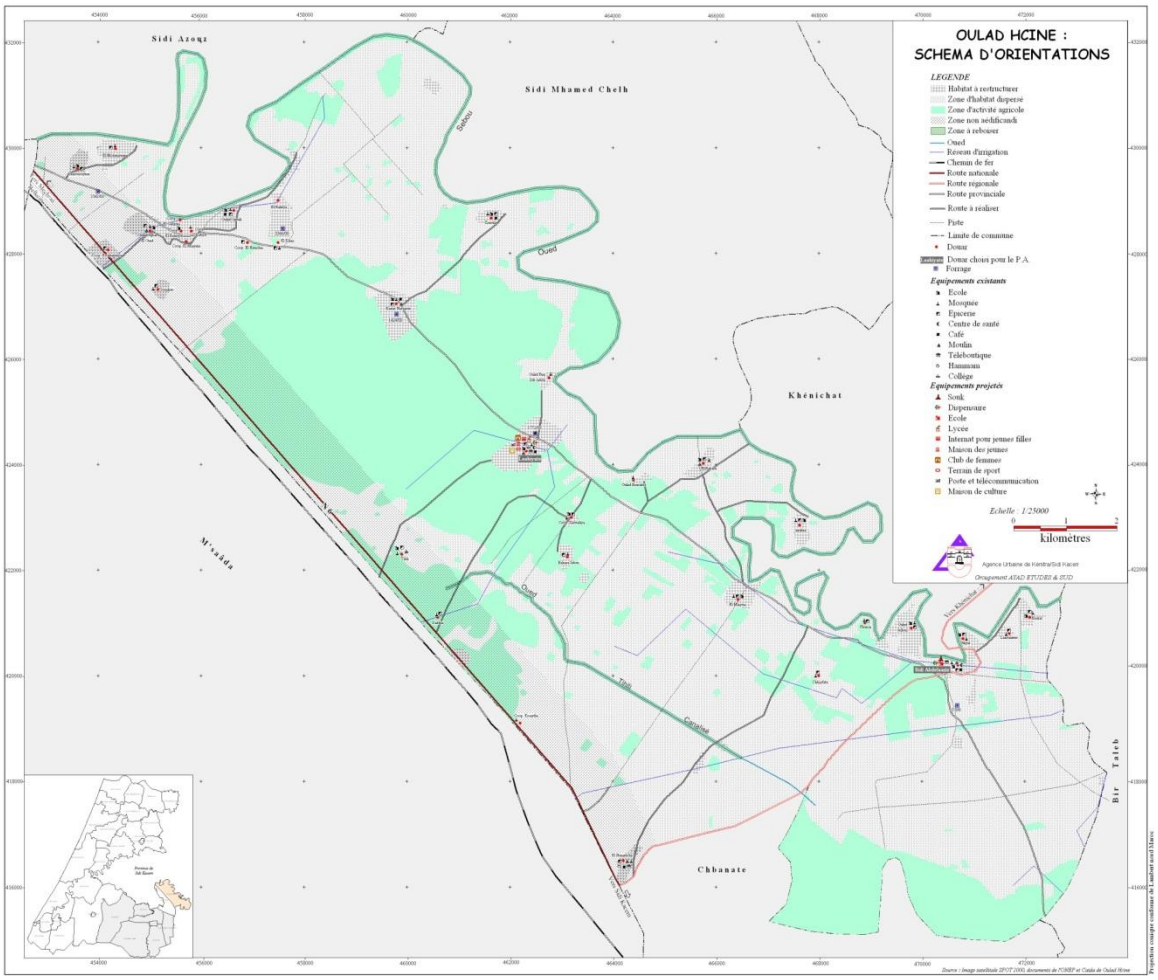

مراجع تهم الموضوع

مراجع بالعربية

- بلفقيه (مُحَمَّد) ، 2002 ، **الجغرافيا القول فيها والقول عنها: 2. المقومات الابستمولوجية**، دار نشر المعرفة، ، (898 ص).
- بلفقيه (مُحَمَّد) ، 1991، **الجغرافيا القول فيها والقول عنها، 1.البحث في الهوية**، النشر العربي الإفريقي، ،(201 ص)
- **البحث الجغرافي حول المغرب (تقديم أولي)**: 1989، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مُحَمَّد الخامس، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 12، الرباط
- مُحَمَّد الأسعد (منسق)، **تقييم التعلمات في الجغرافيا الجامعية** ، 2010، ، منشورات مختبر الدراسات الجغرافية والتنمية المجالية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ابن امسيك، جامعة الحسن الثاني المحمدية الدار البيضاء (277 ص).
- موسى كرزازي ومُحَمَّد آيت حمزة، (منسقان)، 2005، **الجغرافية التطبيقية بالمغرب**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مُحَمَّد الخامس أكدال، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 122 ،الرباط.
- كرزازي موسى، 2005، "**دور الجغرافي في إعداد تصميم التهيئة الجماعي**" ضمن كتاب :"الجغرافيا التطبيقية في المغرب، (تنسيق أيت حمزة مُحَمَّد وكرزازي موسى)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مُحَمَّد الخامس- أكدال، الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 122، (مقال بالفرنسة)
- كرزازي موسى، 2008، "**الجغرافية وإعداد التراب: قواسم وانشغالات مشتركة** "، مجلة جغرافية المغرب ، عدد 1-2 ، مجلد 24 ، فبراير 2008، السلسلة الجديدة.
- موسى كرزازي، والمختار الأكحل (منسقان)، 2005، **دينامية المجالات الفلاحية بالمغرب**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مُحَمَّد الخامس أكدال بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 121.
- **الحوار الوطني حول إعداد التراب، تقرير عام عن الترتيبات التنظيمية والمنهجية**، مديرية إعداد التراب الوطني، وزارة إعداد التراب الوطني والماء والبيئة، المملكة المغربية.
- **أشغال ملتقيات الجغرافيين العرب** ومنها : مُحَمَّد الأسعد (تنسيق)، 2008، نحو استراتيجية لتخطيط التنمية المجالية في العالم العربي بأبعادها المحلية والقومية والعالمية، أشغال الملتقى الرابع للجغرافيين العرب بالرباط، جزءان، منشورات الجمعية الوطنية للجغرافيين المغاربة. الرباط..
- شحو إدريس، 2011، **التوازنات البيئية الغابوية بالأطلس المتوسط الغربي**، مقاربة صون-تنموية لمنطقة ازرو، (الدار البيضاء).
- مُحَمَّد الرفاص، (2013)، من الإقليم إلى الجهة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة مُحَمَّد الخامس أكدال
- دليل الأطروحات والرسائل الجامعية المسجلة بكليات الآداب بالمغرب (إشراف أفا عمر)، ملحق 1996، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، سلسلة دراسات ببلوغرافية رقم 6. منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط1998 (184 صفحة)
- دليل الأطروحات والرسائل الجامعية ، ملحق اسنة 1995 منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط ، (174 صفحة)
- دليل الأطروحات والرسائل الجامعية: 1961-1994 منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، (370 صفحة).

- **منشورات مديرية إعداد التراب** التابعة لوزارة إعداد التراب الوطني والماء والبيئة، المملكة المغربية:
  - نوافذ على المجال المغربي، طبعة 2002؛
  - المجال المغربي واقع الحال، 1999؛
  - الجهات 16، 2000؛
  - وثائق الحوار الوطني حول إعداد التراب الوطني، 2000؛
  - وزارة إعداد التراب الوطني والماء والبيئة، التصميم الوطني لإعداد التراب (خلاصة) 2003، مديرية إعداد التراب الوطني، علوم العمران والتنمية مجموعة ثمانية، 140 صفحة.

دراسات خاصة بوثائق إعداد التراب (تصاميم التهيئة الجماعي؛ التصميم الجهوي لإعداد التراب)

- دراسة مرتبطة بإعداد المرحلة الأولى من "**الدراسات الأساسية/ الاستراتيجية والتوجهات**" لتصاميم التهيئة الجماعية للجماعات القروية أولاد حسين، أولاد بنحمادي، الصفافعة، بومعيز والقصيبية، دار بلعامري (دائرة سيدي سليمان، إقليم القنيطرة)، مكتب الدراسات عياد دراسات، و SUD ، دراسة تحت الطلب : من لدن الوكالة الحضرية للقنيطرة وسيدي قاسم، وزارة إعداد التراب الوطني والتعمير، والسكنى والبيئة، المملكة المغربية 2002-2005 (ثلاث تقارير: التقرير الأولي (حول منهجية ومراحل الدراسة)، تقرير حول الدراسة الأساسية (حول التشخيص)، وتقرير حول التوجهات والاستراتيجية (أي حول اقتراحات التهيئة بكل جماعة قروية).

-وزارة الإسكان والتعمير والتنمية المجالية، **خلاصات التشخيص الترابي الخاص بالتصميم الجهوي لإعداد التراب لجهة الرباط– سلا –زمور– زعير**، المفتشية الجهوية للرباط – سلا –زمور– زعير، (نهاية 2009).

-تقارير التصميم الجهوي لإعداد التراب لجهة الرباط– سلا –زمور– زعير: 1. التقرير التأسيسي المنهجي، 2. التقرير القطاعي، والتقرير الترابي. خلاصات التقريرين (2008– 2009).

Références

- Phlipponneau, M., 1960, **Géographie et action, introduction à la géographie appliquée**, Armand Colin, Paris, (227p.).

- Phlipponneau, M., 1999, **Géographie appliquée, Du géographe universitaire au géographe professionnel,** Armand Colin, Paris, (299 p.).

- Bonnamour, J., **« La géographie rurale pendant le dernier quart du siècle** », Ruralia; Revue de l'association des ruralistes français ; : http://ruralia.revues.org/document5.htm.

- Levy, J. et Lussault M. (Sous la direction de), 2006, **Dictionnaire de la Géographie et de l'espace**, Belin, Paris, (www.edition(belin.com).

- Brunet, R., Ferras R., Théry H., 1992, **Les mots de la géographie, Dictionnaire critique**, Reclus-La documentation française, Collection Dynamiques du territoire, Paris, France (470 p.).

- Bonnamour, J. 1993, **Géographie rurale ; position et méthode**, Mamn ed. Paris, (136 p.).

- Dépelteau, F., 1998, **La démarche d'une recherche en sciences humaines**, Les Presses de l'université Laval.

- Deboudt, (Ph)., Barré (A.), Picouet (P.), 2004, **Réussir des études en géographie**, Ed. BELIN, Paris, (224 p.).

- Agence Urbaine de Kenitra Sidi Kacem (AUKS), « **Etude relative à l'établissement de la première phase « étude de base/stratégie et orientations des plans d'aménagement** communaux des communes rurales Oulad Hcine, Sfafaa, Oulad Ben Hammadi, Boumaïz, Ksibia et Dar Bel Amri» :
    - a)Rapport d'établissement, juillet 2002 (Inédit) ;
    - b) Rapport des études de base, avril 2003, Inédit (BET : Ayad Etudes/ SUD).

- Agence Urbaine de Kenitra Sidi Kacem (AUKS), « Etude relative à l'établissement de la première phase « **étude de base/stratégie et orientations des plans d'aménagement** communaux des communes rurales Oulad Hcine, Sfafaa, Oulad Ben Hammadi, Boumaïz, Ksibia et Dar Bel Amri» ; Rapports relatifs à la stratégie et aux orientations, Version finale, 2005. Inédit (BET : Ayad Etudes/ SUD).

- Ministère de l'Aménagement de l'Environnement, de l'Urbanisme et de l'Habitat, et Université Ibn Tofail, FLSH, Département de géographie, Kenitra : Plan d'aménagement du centre Mograne, **Analyse Synthèse et options d'aménagement**, Septembre 2001 (CGREESS), (Coordinateur FEJJAL Ali, Membres de l'équipe de recherche : AQIL Fatima, KHALIL Abdelakhaaleq, EL MOUTAOUAKIL Ahmed).

- **Plan d'aménagement de la commune d'Oulad Slama**, Analyse Synthèse, Avril 2002 (CGREESS).

- Plan **Communal de Développement de Tanger** (PCD en cours 2014).

- **Eau, environnement et développement dans la région du Gharb-Chrarda-Bni Hsen**, (PARS n* Comité 13-12, Rapport préliminaire Élaboré par FEJJAL Ali (Géographe, responsable du PARS et KHALIL Abdelkhaleq, Géographe, membre de l'équipe de recherche), Département de Géographie, FLSH, Université IBN TOFAIL, Octobre 2000.

- Royaume du Maroc, Ministère de l'Aménagement du Territoire, de l'Eau et de l'Environnement, (DAT), **Étude du Schéma d'Organisation Fonctionnelle et d'Aménagement de l'aire métropolitaine centrale CASABLANCA-RABAT**, Rapport définitif de la première phase; Synthèse, BET DIRASSET, octobre 2005.

- AKDIM B. et al. «**Apports du projet PARS GEO2 à l'étude des phénomènes environnementaux d'interface (Homme-nature) au Maroc**» In: Aménagement du territoire et gestion des risques environnementaux, (Hommage au Professeur Hassan BENHALIMA, Coordonné par Brahim AKDIM et Mohamed LAAOUANE), Pub. Univ. Sidi Mohamed Ben Abdellah, FLSH-Sais, Fès.

- AKDIM, B., 2005, « **Analyse spatiale : pour la maîtrise des défis potentiels d'une gestion opérationnelle** ». In La Géographie Appliquée au Maroc, Coordination Ait Hamza, M. & Kerzazi, M., Pub. FLSH, UM5A, Rabat, Série : Colloques et Séminaires n* 122.

- FATEH, A. et KERZAZI, M. , 2011,: **La multifonctionnalité de la banlieue de Rabat-Temara et le sort de l'activité agricole (Cas des communes Aïn Atig et Mers El Kheir)**, In : Produits agricoles, touristiques et développement local (Cordonné par KERZAZI Moussa, AIT HAMZA Mohamed et EL ASSAAD Mohammed), Pub. ANAGEM, GREMR et CDDSR (UGI).

-

La Grande Encyclopédie du Maroc : 11 Volumes, GEP, Cremona (Italy) (dont) :
Géographie Physique, 1987 (S.Dir, El Gharbaoui, A),
Géographie Humaine (S.Dir : Bencherifa, A. et Agoumy, T.),

Catalogue des publcations (1961-1995) de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Rabat. Fac. Lettr. Sc. Hum. Université Mohammed V, Rabat. Année 1994.

- Royaume du Maroc, Atlas du Bassin de Sebou, 1970.

- Institut scientifique chérifien, Comité National de Géographes, **Atlas du Maroc**, Rabat (15 cartes) .(1950-1975)

Thèses

- Dresch, J., **Recherche sur l'évolution du récif dans le massif central du grand Atlas, le Haouz et le Souss**, Tours, 1941.

- Raynal, R., **Plaines et piémonts du bassin de la Moulouya (Maroc oriental**), Etude géomorphologique, Inframar, Rabat, 1961.

- Joly, F., **Etude sur le relief du Sud-Est marocain**, Institut scientifique Chérifien, Rabat, 1961.

- LE COZ, J., **Le Rharb, fellah et collons**, 2 vol, Inframar, Rabat, 1964

El Gharbaoui, A., 1981, **La terre et l'homme dans la péninsule tingitane, étude sur l'homme et le milieu naturel dans le rif occidental**, Travaux de l'Institut Scientifique,…, Série : Géologie et géographie physique, n° 31, Tome I (texte et planches) 439 p., Tome II (Cartes).

Noin, D.,(**La population rurale du Maroc**, PUF, 2 vol, 1970.